حلية الخطيب

أحمد بن غانم الأسدي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حِلْيَةُ الخَطِيبِ

تَأْلِيفُ

أحمد بن غانم الأسدي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقريظ فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله الإمام

حفظه الله وأدام نفعه

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد: فميدان الخطابة -خصوصًا خطبة الجمعة- ميدان نفيس، غالي المنال، وعالي المقام، وجديرٌ أن تتنوع خدمته، وتُسَهَّل صِعابه، وتُذلَّل جوانبه، وتُبْرَز معالمه، وتَستوعِب معارفنا متطلباته، فلا غرو ولا عجب، أن تؤلف فيه المؤلفات، ليدلو كل مؤلف بدلوه. ومن هؤلاء المؤلفين أخونا الفاضل الشيخ أحمد بن غانم الأسدي، فقد قام بتأليف «حلية الخطيب»، وقد تصفحتها فوجدت فيها مشاركة طيبة، وتعاونًا مباركًا، وبيان لما يُرىٰ إجماله، وإكمال لما يُرىٰ نقصه، فأنعم وأكرم به من كتيب صغير الحجم كبير الفائدة، يفتقر إليه المبتدئ، ولا يستغني عنه المنتهي-وفق الله كاتبه إلىٰ كل خير ودفع عنا وعنه كل ضير-

فدونك أيها القارئ الخطيب هذه المعالم والآداب والمكارم؛ لتتفوق بها وبأمثالها في مجال التبليغ عن الله، وتنجح في إصلاح عباد الله، وتنال مقام السيادة في الخير، والريادة في الإصلاح، والإمامة في الدين، والقيادة في النهوض بالناس إلىٰ بَرِّ الأمان وساحل النجاة في الدنيا والآخرة.

وكتبه: محمد بن عبد الله الإمام

بتاريخ (١٢/ ١٢/ ١٤٤١هـ)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خطبة المؤلف

الحمد لله العليم العلام، الرحيم الرحمن، أنزل القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان.

والصلاة والسلام الأَتَمَّان الأكملان علىٰ المبعوث بجوامع الكلم وأوجز الكلام، أفصح من نطق بالضاد، وأكرم من تشرفت به أعواد المنابر الجياد، وأبلغ من خطب الحاضر والباد، صلاة وسلامًا دائمة التَّرداد إلىٰ يوم التناد، وعلىٰ آله وأصحابه الأمجاد، من بلَّغوا دينه وشريعته بالحكمة والسداد.

أما بعد:[1] فإن الخَطابة جزء لا يتجزأ من دين الإسلام، وجزء من إصلاح كِيان الأمة الشامخ؛ فهي منبر الواعظ، ومُتَّكأ الناهض، وسُلْوان من هو علىٰ دينه كالقابض، لا تُعرف طريقة في الدعوة أقرب إلىٰ الوقع منها، ولا وقْعٌ أشد-في التلقي بالقبول في نفوس الناس- من وَقْعها، وهي دعوة النبي ﷺ ومِنبره، ومبتدؤه وخبره، بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وعليه: فإن التهاون بشأن الخطب المِنبرية لخَطْب جلل، والنأي عن العناية بها لنقص وخلل.

---

(١) «أمّا بعد»: هو الثابتُ عنه ﷺ في خطبه، كما رَوىٰ ذلك أربعون من الصَّحْبِ الكرام ﷺ وما أدري ما وجه اقتصار كثيرين علىٰ: [وبعد] لأنّ المطلوب اتباع ما جاءت به السنة، لا سِيَّما والإطناب مطلوب في الخطب، وكون المدار عليه يحتاج لوحيٍ يُسْفِرُ عنه!» قالَه الزُّرْقانيُّ في «شرح المواهب» (١/ ٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإلىٰ الله الشكوىٰ من خطباء لم يقدروها حق قدرها، ومن أمة ترىٰ أهون رجالها عليها هو الخطيب الذي تحتشد في أفضل أيامها؛ لوعي كلامه تحت منبره، وتأتم به في عباداتها!!

ولا أنكر وجود الخير، ولكنه بين التنقيص والتنغيص، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وَلِشدة الحاجة إلىٰ الخطابة، فلا بد من تأهيل الشَّبابِ الصاعد في معارج التلقي؛ لِيَكُونُوا نُجومَ المستقبل في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، في خطبة الجمعة وفي غيرها من مواطن الوعظ والإرشاد.

وفي مطلع عام ست وثلاثين وأربعمئة وألف شرفني شيخنا الأبر محمد بن عبد الله الإمام –حرس الله مُهْجَتَهُ وأدام بركته- بتأهيل جماعة من طلاب العلم بدار الحديث بمعبر–حرسها الله-؛ ليكونوا في عِدَادِ الخطباء الماهرين.

ولا بد لتأهليهم من كتاب يجمع مبادئ هذا العلم وأصوله وآدابه؛ ليكون مدخلًا لطالب هذا الفن الشريف، فَوَلَّيْتُ وجهي شطر الكتب المفردة في الخَطابة، فلم أجد فيما اطَّلَعْتُ عليه ما يناسب أسلوب التعليم، بل هي إلىٰ طريقة البحث والمطالعة أقرب، فبعد استخارة واستشارة عَزَمْتُ علىٰ نسج تلك المبادئ والآداب في حُلَّةٍ قَشِيْبَةٍ وثوب جميل؛ لِيَلْبَسَهَا الرَّاغب في سلوك سبيل الخطباء النبلاء.

ولا أدَّعي لهذه الحِلْيَةِ الجمال ولا التَّمَام، وأنَّىٰ لها ذلك وهي نسج مُزْجىٰ البضاعة ضعيف الصناعة، فالمأمول من أهل العلم والفضل تتميم نقصها، وسد خللها، فالعلم رَحِمٌ بين أهله بل هو أقرب رحم.

أسأل الله تعالىٰ وهو الكريم الوهاب أن يتقبلها بقبول حسن، وأن ينفع بها كاتبها وقارئها وناشرها، إن ربي لسميع الدعاء.

كَتَبَه

أبو الخطَّابِ أحمدُ بنُ غانِمِ بنِ حسنٍ الأَسَديُّ

في الثاني عشر من شهر جمادىٰ الأولىٰ لعام ستة وثلاثين وأربعمئة وألف

مِن هِجرةِ رسولِ الله الأعظمِ ﷺ

(١٢/ ٥/ ١٤٣٦)

البريد الشّبَكِي
alghanm20@gmail.com

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فضل خطبة الجمعة

خطبة الجمعة تَجَمُّعٌ أسبوع يتكرر في الشهر أربع مرات عادةً، ويتكرر في السنة أكثر من أربعين مرة، يأتي الخطيبُ إلىٰ الناسِ، وهو يحمل الرغبة والإصلاح والبيان، وإنزال الآيات والأحاديث علىٰ الوقائع والأحداث، التي تلامس أحوال الناس، فيستقيم المُعْوَج، ويَثْبُتُ المُهتدي، وتَسْتَبِيْنُ السُّبُلُ؛ ليهدي الله من شاء من عباده، وتتلاشىٰ الشرور، حينما يأتي الدواء النافع بإذن الله.

يقول الشيخ علي الطنطاوي: «كان وفدٌ من العلماء يَزُورنَ واحدًا من كبار أولي الأمر من عهد قريب يشكون إليه فساد الأخلاق، وانتشار المعاصي، وهذه المنكرات البادية، فقال لهم: أنا أعجب من أمركم! عندكم هذه المنابر التي تستطيعون أن تُصلحوا كل فاسد، وتُقَوِّمُوا كل معوج، ثم تشكون إليَّ ما تجدون.

وهي كلمة حق أجراها الله علىٰ لسانه؛ لتقوم بها الحجة علينا مرتين: مرة لأنها كلمة حق لا يُنازِع في صحتها منازعٌ، ومرة لأنها جاءت موعظة منه لمن يتصدَّون لوعظ الناس»[1].

ولقد أدرك أعداء الإسلام فضل خطبة الجمعة وعظيم نفعها:

---

(١) «فصول إسلامية» (٩٩).

- فعن أم المؤمنين عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال في اليهود: «**إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُوننَا عَلَىٰ شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُوننَا عَلَىٰ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا**»(١).

وحسدهم شامل لنعمة الاجتماع علىٰ الذكر والوعظ والعبادة، وفي هذا الاجتماع إصلاحٌ للأقوال والأفعال والأحوال.

- قال أحد المستشرقين الحاقدين: «لو كان الأمر بيدي لَعَطَّلْتُ الجمع، فلا أجعل جمعة تقام في مسجد من مساجد المسلمين».
- وقال آخر مخاطبًا بني جنسه بكلام معناه: «اضمنوا لي هذا العدد في كل أسبوع وشرط الإنصات لما أقول، وأنا مستعد أن أغير مجرىٰ التاريخ».
- وقال ثالثهم: «أَعطوني منابر المسلمين أُعطِكم المسلمين»(٢).
- وقال أحد الشيوعيين: «لو نملك مثل ما يملكه المسلمون من منابر الجمعة لَحَوَّلْنَا العالم إلىٰ الشيوعية خلال سنتين»(٣).

فوا أسفاه أن يكون كثير من المسلمين يجهلون قدر الخطابة وقدر الخطيب، ويشتد الأسف أن يكون كثيرٌ من الخطباء يجهل أيضًا مهمته العظمىٰ، في الخطابة، وهي بذل جهوده في الخطابة؛ لإصلاح الناس!

---

(١) **صحيح**. أخرجه أحمد (٦/ ١٣٥)، وغيره.

(٢) «أيها الخطيب» (٢١).

(٣) «إرشاد اللبيب فيما يحتاجه الإمام والخطيب» (٣٢).

وموجز مكانة خطبة الجمعة في الآتي:

الأول: أن الله فرض السعي إلىٰ الخطبة والصلاة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الجمعة:٩].

الثاني: الخطابة عمل رسول الله ﷺ التي قام بها بنفسه الكريمة طيلة حياته المباركة، ولا أعلم أنه استمع لغيره خطبة جمعة.

الثالث: الخطابة عمل الخلفاء الراشدين من بعده ومهمتهم رضي الله عنهم.

الرابع: وجوب الإنصات للخطبة علىٰ كل من حضرها، ويا ويل من لم ينصت فقد قال ﷺ: **«إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ»**[(١)].

الخامس: أنها الطريقة الباقية للإعلام في الحاضرة والبادية، لكل الناس علىٰ السواء الرجال والنساء، الأغنياء والفقراء، الرعية والرؤساء.

السادس: خطبة الجمعة مما اختصت بها أمة الإسلام، والحكمة من ذلك دوام الوعظ والإرشاد للعباد؛ ليدوم فيهم الدين والسداد.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥١).

أصول الخَطابة

الأصل الأول: العلم

إن علم الخطيب بالحجج الشرعية فيما يحث الناس عليه أو يحذرهم منه عماد انتفاع الناس بوعظه؛ لأن كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسوله ﷺ هو الحجة البالغة قال الله ﷻ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٤٩].

وقال ﷻ: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [سورة القمر:٥]

وقال ﷻ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الجاثية:٦].

فمن صفات الخطيب الموفق الإكثار من حجج الوحيين الشريفين بما يناسب موضوع الخطبة، مع السلامة من تحريف الاحتجاج بما هو حق، أو الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة والمكذوبة على رسول الله ﷺ.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف:١٠٨].

قال الحافظ ابن كثير: «يقول الله تعالى لرسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي: طريقته ومَسْلَكه وسُنَّته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلىٰ ما دعا إليه رسول الله ﷺ علىٰ بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي»[١].

وقال المفسر ابن عاشور: «البصيرة: هي الحجة الواضحة، والمعنىٰ: أَدْعُو إلىٰ الله بِبَصِيْرة مُتَمَكِّنًا منها، والبصير: صاحب الحجة؛ لأنه بها صار بصيرًا بالحقيقة»[٢].

وقال العلامة الشنقيطي قوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: «علىٰ عِلْم ودليل واضح»[٣].

ومَرَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بِقَاصٍّ فقال: «أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا! قال: هَلَكت وأَهْلكتَ»[٤].

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «من عَمِلَ بغير عِلْم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»[٥].

وقال الحافظ الواعظ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله: «فينبغي للواعظ أن يكون حافظًا لحديث رسول الله ﷺ، عارفًا بصحيحه وسقيمه، ومُسنَدِه ومقطوعه

---

(١) «تفسير ابن كثير» [يوسف: ١٠٨].

(٢) «تفسير ابن عاشور» [يوسف: ١٠٨].

(٣) «أضواء البيان» [الجاثية: ٢٠].

(٤) صحيح. أخرجه زهير بن حرب في «العلم» رقم (١٣٠)، وصححه الألباني في التعليق عليه.

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» رقم (١٧٦٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومعضله، عالمًا بالتواريخ وسير السلف، حافظًا لأخبار الزهاد، فقيهًا في دين الله، عالمًا بالعربية واللغة، فصيح اللسان»[١].

وقال الإمام النووي ﷺ: «إنما يَأمر ويَنهىٰ من كان عالمًا بما يَأمر به ويَنهىٰ عنه»[٢].

ولا يفهم من هذا الأصل أن يكون الخطيب متبحرًا في العلوم، ولكن المراد ألَّا يدعو إلَّا بما يَعْلَم، وألَّا يتكلمَ إلَّا فيما يعلم، ولهذا قال نبينا الكريم ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»[٣].

فقوله: «**بَلِّغُوا**» تَكْلِيْفٌ.

وقوله: «**عَنِّي**» تشريف.

وقوله: «**وَلَوْ آيَةً**» تخفيف.

فأفاد أن من لا يحسن إلا تبليغ آية فلا يزيد عليها أخرىٰ لا يحسنها.

---

(١) «القصاص والمذكرين» (ص/ ٢٢).

(٢) «شرح صحيح مسلم» حديث رقم (٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأصل الثاني: الإخلاص

الإخلاص في اللغة: مأخوذ من الخلاص، قال العلامة اللُّغوي ابن فارس: «الخاء واللام والصاد؛ أصل واحد مطرد، وهو: تنقية الشيء وتهذيبه»(١).

وتعريف العلماء للإخلاص متقارب في اللغة والشريعة:

يقول سهلٌ التُّسْتُرِي ﵀: «نَظَرَ الأكْيَاسُ في تفسير الإخلاص، فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركاته وسكونه في سِرِّهِ وعلانِيَتِه لله وحده لا شريك له، لا يمازجه شيء: نفس، ولا هوىٰ، ولا دنيا»(٢).

ويتحقق الإخلاص في الخَطابة بأن يكون غاية الخطيب رضا الخالق وصلاح الخلق، وبتحقيق الإخلاص يَسْلم الخطيب من فساد العمل في الدنيا، ويسلم من عقوبة الرياء في الآخرة.

فعن بشير بن عقربة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَامَ بِخُطْبَةٍ لَا يَلْتَمِسُ بِهَا إِلَّا رِيَاءً وَسُمْعَةً، وَقَفَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَوْقِفَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ**»(٣).

ولما اسْتَأْذنَ الحارثُ بن معاوية الكِنْدي عمرَ بن الخطاب ﵁ أن يَقُصَّ علىٰ الناس أي: يعظ، قال له: «أخشىٰ عليك أن تَقُصَّ فَتَرْتَفِعَ عليهم في نفسك، ثم

---

(١) «مقاييس اللغة» جذر (خ ل ص).

(٢) حسن. أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ١٨٤) وانظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٩٢).

(٣) حسن. أخرجه أحمد (٣/ ٥٠٠)، والطبراني (٢/ ٤٣)، وحسَّن إسناده الشيخ الأرناؤوط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقص فترتفع حتىٰ يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثُّرَيَّا فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك»[١].

ولقد علم سلفنا الصالح بركة الإخلاص في تحقيق الانتفاع بالخطبة للمتكلم والسامع:

قال يحيىٰ بن معاذ ﷺ: «من أشخص بقلبه إلىٰ الله انْفَتَحَتْ يَنَابِيْعُ الحكمة من قلبه، وجرت علىٰ لسانه»[٢].

وقال علي بن الفضيل بن عياض لأبيه: «يا أبتِ ما أحلىٰ كلام أصحاب محمد ﷺ، قال: يا بني وتدري لِمَ حلا؟ قال: لا يا أبتِ، قال: لأنهم أرادوا به وجه الله تبارك وتعالىٰ»[٣].

وقيل لحمدون بن أحمد النَّيْسَابُورِي ﷺ: «ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لِعِزِّ الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لِعِزِّ النفوس، وطلب الدنيا، ورِضا الخلق»[٤].

وقال عامر بن عبد القيس ﷺ: «الكلمة إذا خرجتْ من القلب وقعتْ في القلب، وإذا خرجتْ من اللسان لم تجاوز الآذان»[١].

---

(١) حسن. أخرجه أحمد (١/ ١٨)، وجوَّد إسناده العلامة ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٢/ ٥٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٥٢).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٠١).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٩٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال سوار بن عبد الله ﷺ: «كلام القلب يَقْرَعُ القلب، وكلام اللسان يمر علىٰ القلب صفحًا»[٢].

وقال الإمام الأوزاعي ﷺ: «بلغني أنه ما وعظ رجل قومًا لا يريد به وجه الله إلَا زَلَّتْ عنه القلوب كما زل الماء عَنِ الصَّفَا»[٣].

وقال ابنُ النَّحَّاسِ ﷺ: «فمن أخلص لله النية أثَّر كلامه في القلوب القاسيةَ فليَّنَهَا، وفي الأَلْسُنِ الذَّرِبةِ فَقَيَّدَهَا، وفي الأيدي السَّلِطَةِ فَعَقَلَهَا»[٤].

ولا يفهم مِنْ هذا تركُ الوعظ لِمنْ عنده نقص في إخلاصه وعمله، بل المطلوب أن نجاهد أنفسنا؛ لنظفر بما فاتنا منه.

قال الله تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [سورة المائدة:٧٨-٧٩].

قال المفسر ابن عطية ﷺ: «قال حذاق أهل العلم: ليس من شروط الناهي أن يكون سليمًا من المعصية، بل ينهىٰ العصاة بعضهم بعضًا».

=

(١) «البيان والتبيين» (١/ ٨٣).

(٢) «أخبار القضاة» لوكيع القاضي (٢/ ٦٤).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ١٤١).

(٤) «تنبيه الغافلين» (٦٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولله در من قال:

إِذَا لَـمْ يَعِـظْ فِي النَّـاسِ مَـنْ هُـوَ مُـذنِبٌ فَمَـنْ يَعِـظِ العَاصِـيْنَ بَعْـدَ مُحَمَّـدِ

وقال الحسن البصري لمطرِّف بن عبد الله رحمه الله: «عِظْ أصحابك، فقال مطرف: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل، فقال الحسن: يرحمك الله، وأَيُّنا يفعل كل ما يقول؟ يَودُّ الشيطان لو ظَفِرَ مِنَّا بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف، ولم يَنْهَ أحدٌ عن منكر»[(١)].

قال ابن حزم رحمه الله: «وصدق الحسن؛ لأنه لو لم يأمر بالمعروف ولم يَنْهَ عن المنكر إلا من لا يذنب، لما أَمر به أحد من خلق الله تعالىٰ بعد النبي ﷺ، فكلٌ منهم قد أذنب، وفي هذا هدم للإسلام جملة».

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: «لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا يَنْهَىٰ عن المنكر حتىٰ لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نَهَىٰ عن منكر».

وقال الإمام مالك رحمه الله: «وصدق سعيدٌ؛ ومن ذا الذي ليس فيه شيء»[(٢)].

وقال العلامة ابن الجوزي: «وقد لبَّس إبليسُ علىٰ بعض المتعبِّدينَ فيرىٰ منكرًا فلا يُنْكِرُهُ ويقول: إنما يأمُرُ ويَنْهي مَن قد صَلُحَ، وأنا لستُ بصالحٍ فكيفَ آمُرُ غيري؟!

---

(١) ذكره أبو العباس المبرد في «الكامل في اللغة والأدب» (١/ ١٦٥)، وأبو محمد بن حزم في «الرسائل» (٣/ ١٨٠)، وصححه في كتابه «الأخلاق والسير» ص (١٩٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» [البقرة: ٤٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا غلطٌ؛ لأنه يجبُ عليهِ أنْ يأمُرَ ويَنْهي ولو كانتْ تلكَ المعصيةُ فيه، إلا أَنه مَتىٰ أَنكَرَ مُتنزِّهًا عَن المنكَرِ أَثَّرَ إِنكارُهُ، وإذا لم يكنْ متنزِّهًا لم يكدْ يعملُ إنكارُه **فيَنْبَغي للمنْكِرِ أن يُنَزِّه نفسَه؛ لِيُؤثِّر إِنكارُه**»[١].

وقال الإمام النووي رحمه الله: «قال العلماء: ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال، مُمْتَثِلًا بما يأمر به، مُجْتَنِبًا ما ينهىٰ عنه، بل عليه الأمر وإن كان مُخِلًّا بما يأمر به، والنهي وإن كان مُتَلَبِّسًا بما يَنهىٰ عنه، فإنه يجب عليه شيئان أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه»[٢].

(١) «المنتقىٰ النفيس من تلبي إبليس» (١٥٨).

(٢) «شرح صحيح مسلم» حديث رقم (٤٩).

الأصل الثالث: الصبر

لا يختلف أهل اللغة أن أصل الصبر: الحبس والمنع، والمراد بذلك: حبس النفس عن الجَزَعِ، واللسان عن التَّشَكِّي، والجوارح عن لَطمِ الخدود وشَقّ الجيوب، وزاد بعضهم: الشِّدة والضم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «والتحقيق أن في الصبر المعاني الثلاثة: المنع، والشدة، والضم»(١).

قلت: أما المنع فهو بمعنىٰ الحبس.

وأما الشدة فهي: تَجَرُّع المَرَارَات كما يتجرع المريض الدواء الكَرِيه.

وأما الضم فمعناه: أن الصابر يجمع نفسه ويضمها عن الهلع، والجزع، وهذا يرجع إلىٰ الحبس والمنع.

والصبر في الاصطلاح أوسع منه في اللغة، فهو: الصبر علىٰ أداء الطاعات من الواجبات والتطوعات، وعلىٰ ترك المنهي عنها من المحرمات والمشتبهات، وعلىٰ مقادير الله بنوعيها المصائب والمعائب، وجِمَاعُهَا: حسن العمل لله تعالىٰ، وحسنُ العمل لعباده.

---

(١) «عدة الصابرين» (ص/ ١٨).

والصبر في مقام الدعوة إلىٰ الله، ومنها: الخَطابة هو صفة الأنبياء والمرسلين، وعليه مدار نجاح دعوتهم، وللداعي إلىٰ الله في دعوته -لا سيَّما في خطبه-؛ أسوة فيمن مضىٰ من أنبياء الله، إذا أراد لِدعوته نجاحًا ولِسعيه فلاحًا.

قال بشر الحافي ﷺ: «لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر إلا من يصبر علىٰ الأذىٰ»(١).

وقال عمير بن حبيب الخطمي ﷺ: «إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر؛ فَلْيُوَطِّن نفسه علىٰ الصبر علىٰ الأذىٰ، فإنه من يصبر لا يجد لِلْأَذَىٰ مَسًّا»(٢).

وقال العلامة ابن حزم ﷺ: «من قَدَرَ أنه يَسْلم من طعن الناس وعيبهم؛ فهو مجنون»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «ولا بد أيضًا أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر حليمًا صبورًا علىٰ الأذىٰ؛ فإنه لا بد أن يحصل له أذىٰ؛ فإن لم يحلُم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح؛ ولهذا أمر الله الرسل - وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - بالصبر كقوله لخاتم الرسل؛ بل ذلك مقرون بتبليغ الرسالة، فإنه أول ما أُرسل أُنزلتْ عليه سورة المدثر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [سورة

(١) حسن. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٣٧).

(٢) حسن. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ١٤٦)، وابن أبي الدنيا في «الحلم» رقم (١٧).

(٣) «مداواة النفوس» (ص/ ٨٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المدثر:١] بعد أن أُنزلتْ عليه سورة ﴿اقْرَأْ﴾ [سورة العلق:٣] التي بها نُبئ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ [سورة المدثر:١-٧] فافتتح آيات الإرسال إلىٰ الخلق بالأمر بالنذارة، وختمها بالأمر بالصبر، ونفس الإنذار أمر بالمعروف ونهي عن المنكر؛ فعلم أنه يجب بعد ذلك الصبر»[(١)].

وقال الحافظ ابن القيم ﷺ-بعد أن ذكر قوله الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة:٢٤] «فأخبر تعالىٰ أنه جعلهم أئمة يَأْتَمُّ بهم مَن بعدهم لِصَبْرهم ويقينهم؛ إذْ بالصبر واليقين تُنَال الإمامة في الدين، فإن الداعي إلىٰ الله تعالىٰ لا يَتِمُّ له أمره إلا بيقينه للحق الذي يدعو إليه، وبصيرته به، وصبره علىٰ تنفيذ الدعوة إلىٰ الله بِاحْتِمَال مشاق الدعوة، وكف النفس عما يُوْهِن عَزْمَه ويُضْعِف إرادته، فمن كان بهذه المثابة؛ كان من الأئمة الذين يَهْدُون بأمره»[(٢)].

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ١٣٧).

(٢) «إعلام الموقعين» (٤/ ٦٠١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وصبر الداعي إلىٰ الله يَحْسِم مادة الأذىٰ، قال حكيم العرب الأحنف بن قيس: «من لم يصبِر علىٰ كلمة؛ سمع كلمات، ورُبَّ غيظ قد تَجَرَّعْتُه مخافة ما هو أشد منه»(١).

فإن لم يصبر الداعي إلىٰ الله علىٰ الأذىٰ افتتح عليه باب الفتنة، فاضطرب أمره، وتعثَّر سَيْرُهُ في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

قال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تقع فتنة إلا مِن تَرْك ما أمر الله به؛ فإنه سبحانه أمر بالحق وأمر بالصبر، فالفتنة إما مِن تَرْك الحق وإما من تَرْك الصبر»(٢).

«فالصبر قوة نَفْسِية تدفع الداعي المتحلي بها إلىٰ مُقاومة كل أسباب الخَوَرِ والضَّعْف، والاسْتِكَانة والاسْتِسْلام، وتَحْمِلُه علىٰ الثبات، أمام الفتن والمغريات، وعند المحن والمكاره، إلىٰ أن يأذن الله له بالنصر والظَّفَر، أو يَلْقَىٰ ربه وهو عنه راضٍ».

وأعظم مثال في طول الصبر في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ هو صبر نبي الله ورسوله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فهذا النبي الكريم والرسول العظيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ظل يدعو قومه إلىٰ عبادة الله وحده ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلا يُعْلَم علىٰ الإطلاق أحد عُمِّرَ في الدعوة إلىٰ الله ما عُمِّرَ نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فهو أطول الأنبياء والرسل صبرًا، فقد دام

(١) «المجالسة وجواهر العلم» (٨/ ٢٨).

(٢) «الاستقامة» (١/ ٣٩).

صبره فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، فانظر ما أوسع هذا الصبر لمن أكرمه الله[١].

فماذا يكون صبر من صبر مائة سنة مع صبر نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟!

فهلَّا يُحَدِّثُ دُعَاة الإسلام أنفسَهم بأن يصبروا في الدعوة إلىٰ الله حتىٰ يُلاقوا ربهم طَالتْ المدة أو قصرتْ؟! مع أن أطولها قصير مع صبر نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(١) ولا يعني من هذا النقص في صفة الصبر عند بقية الأنبياء عليهم وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام، بل هم أكمل الناس في كل صفات الخير، وأطولهم صبراً نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأكملهم صبراً هو رسولنا الكريم ونبينا العظيم ﷺ.

الأصل الرابع: الحكمة

في تعريف الحكمة أقوال كثيرة، لعل أجمعها هو أن الحكمة: «فعل ما ينبغي، علىٰ الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي»[(١)].

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [سورة النحل:١٢٥].

قال المفسر ابن عاشور ﷺ: «الباء في قوله: بالحكمة لِلْمُلابسة.. ومعنىٰ الملابسة يقتضي أن لا تَخْلو دعوته إلىٰ سبيل الله عن هاتين الخصلتين:

الحكمة، والموعظة الحسنة.

فالحكمة: هي المعرفة المحكمة، أي: الصَّائبة المُجَرَّدة عن الخَطَإ، فلا تطلق الحكمة إلا علىٰ المعرفة الخالصة عن شوائب الأخطاء، وبقايا الجهل في تعليم الناس، وفي تهذيبهم، ولذلك عَرَّفُوا الحكمة بأنها: معرفة حقائق الأشياء علىٰ ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية بحيث لا تَلْتَبِس علىٰ صاحبها الحقائق المُتَشابهة بعضها ببعض، ولا تخطِئ في العلل والأسباب، وهي اسم جامع لكل كلام أو عِلْمٍ يراعىٰ فيه إصلاح حال الناس، واعتقادهم إصلاحًا مستمرًّا لا يَتَغَيَّر»[(٢)]

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٤٩).

(٢) «التحرير والتنوير» [النحل: ١٢٥].

وقال الله ﷻ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة البقرة:٢٦٩].

وقال المفسر ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكمة مِن أحكم بمعنىٰ أتقن؛ وهي وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، وتستلزم علمًا ورشدًا، فالجاهل لا تأتي منه الحكمة إلا مصادفة؛ والسفيه لا تأتي منه الحكمة إلا مصادفة»(١).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(٢).

ورحم الله من قال: «ليكن أمرك بالمعروف معروفًا، ونهيك عن المنكر غير منكر»(٣).

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله: «كل نظام الوجود مرتبط بهذه الصفة-أي: الحكمة-، وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه: الإخلال بها، فأكمل الناس أوفرهم نصيبًا منها نصيبًا، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال: أقلهم منها ميراثًا»(٤).

أركان الحكمة:

---

(١) «تفسير ابن عثيمين» [البقرة: ٢٦٩].

(٢) أخرجه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ١٢٦).

(٤) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٤٩).

الأول: العلم؛ فلا حِكمة لجاهل.

الثاني: الحِلم؛ فلا حِكمة لطائش غضوب.

الثالث: الأناة؛ فلا حِكمة لعجول خفيف العقل.

من معالم الحكمة في الخَطابة:

الأول: الدعوة بالحجج والبراهين من الكتاب والسنة والعقل، وهذا هو الأصل الأول من أصول الخَطابة، وقد مضىٰ الكلام فيه.

الثاني: البَدء بالأهم فالمهم، فالتوحيد قبل حقوق الجيران، وبر الوالدين قبل الرِّفق بالدواب، وهكذا.

الثالث: النصح بالتعريض وترك التصريح، كما كان النبي ﷺ يقول: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ...**».

الرابع: مخاطبة الناس علىٰ قدر عقولهم، قال علي بن أبي طالب ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّب اللهُ ورسولهُ؟!»[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تَبْلُغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة»[(٢)].

الخامس: اختيار الزمان والمكان المناسب للكلام.

السادس: اختيار الكلام المناسب للأحوال.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة (ص/ ٥).

السابع: تقصير الخطبة أو تطويلها، بما يوافق السنة ويَرفُق بالأمة.

أمثلة للحكمة في الدعوة نصيحة وتعليمًا:

الأول: عن أبي أمامة ﷺ قال: «إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: **أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟** قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**. قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟** قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**. قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟** قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**. قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟** قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**. قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟** قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: **اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**. قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[(١)].

فانظر إلىٰ حكمة النبي ﷺ في تقرير قُبْح الزنا، وتنفير نفس الشاب عنه، بإثارة غَيرة الشاب علىٰ محارمه؛ ليُلزمه أن يصون محارم المسلمين كما يُحب أن تُصان محارمه، فلم يسرد عليه النبي ﷺ براهين تحريم الزنا، وإنما جاء بهذا الأسلوب

(١) **صحيح**. أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٧) وغيره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البديع؛ ليدل على تنوع طرق الوعظ، بحكمة الواعظ والمصلحة المرجوة، تحت سقف الشريعة المطهرة.

الثاني: قال الحافظ ابن القيم ﷺ: «ورأى بعض الملوك كأن أسنانه قد سقطت، فعبرها له معبر بموت أهله وأقاربه، فأقصاه وطرده، واستدعى آخر فقال له: لا عليك، تكون أطول أهلك عمرًا، فأعطاه وأكرمه وقربه، فاستوفى المعنى، وغير له العبارة، وأخرج المعنى في قالب حَسَنٍ»[(١)].

فأنت ترى أن التعبير واحدٌ؛ لأنه لن يكون أطولهم عمرًا إلا إذا ماتوا وبقي بعدهم زمانًا، ولكن اختلف أسلوب الكلام من مفسر إلى مفسر.

الثالث: ذكر بعض المؤرخين أن أحد الملوك أمر بمنع النساء من لُبْس الذهب، فأَبتِ النساء الاستجابة لهذا الأمر، وجاهرن بلبس الذهب، وأكثرن من ذلك، فَاغْتَمَّ الملك من هذا التمرد على أمر الملك، فجمع حاشيته ومستشاريه، ثم استشارهم فانقسموا فريقين، فريق رأى أن يُحجم الملك عن هذا الأمر، ورأى الفريق الآخر أن يُقدِم الملك بخطوات أكثر في تنفيذ الأمر، والقضاء على تمرد النساء، وكان في المجلس حكيم لم يتكلم، فقال له الملك: ما لك لم تقل شيئًا؟ فقال: لا أرى الإقدام ولا أرى الإحجام، ولكن أرى أن تأمر بالإذن للنساء الناقصات في الجمال أن يَلْبسن الذهب؛ لتَتمِيْم جمالهن، فاستحسن الملك

---

(١) «إعلام الموقعين» (٥/ ١٢٧).

وحاشيته هذه الحكمة الجميلة، فلما ظهر أمر الملك الجديد بادرت النساء بخلع الذهب؛ لِتَفَاخُرهن بجمالهن الخَلْقي، واستغنائهن عن التزين بالذهب!!!.

الرابع: ذكر بعض المؤرخين أن أحد الملوك كان أعور وأعرج، فجمع المصورين في مملكته، وأمرهم أن يصوروا صورته في أحسن منظر، فقالوا: وكيف نقدر علىٰ تصوير صورة جميلة مع أن الملك أعور وأعرج، فشدد عليهم، فاغتموا، فبادر أحدهم، وقال: أنا أصور الملك كما أمر، فصور صورة لِلْمَلِك وهو يمارس عملية الصيد، فظهر عَوَرُ عينه وكأنه يدقق في إصابة الهدف، وظهر عَرَجُه، وكأنه منحنٍ لإصابة الرَّمِيَّة!

ومما يقوي لسان الخطيب في تحقيق هذا الأصل والتضلع فيه، متعة القراءة في هذه الأسفار:

١) «الأساليب النبوية في معالجة أخطاء الناس»، للشيخ محمد بن صالح المنجد.

٢) «دعوة النبي ﷺ للنصارىٰ»، للشيخ علي بن أحمد الأحمد.

٣) «فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية»، للشيخ فتحي بن عبد الله الموصلي.

٤) «بهجة المجالس وأنس المجالس»، للحافظ ابن عبد البر (١/ ١٤-فما بعدها).

٥) «الأذكياء» للحافظ ابن الجوزي.

٦) «الأجوبة المسكتة» إبراهيم الحازمي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأصل الخامس: اللين والرفق

الرفق واللين من الأخلاق الحسنة الحاملة علىٰ التَّحابِّ والتَّوَادِّ، والخطيب ينبغي أن يُقيم خطبته علىٰ هذا الأصل الأصيل، والخلق الفَضِيل.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: «مَنْ لَانَتْ كلمتُه وجبتْ محبتُه»(١).

وقال الإمام الماوردي ﷺ: «إذا حَسُنَتْ أخلاق الإنسان كَثُر مُصَافوه، وقلَّ معادوه، فَتسَهَّلَتْ عليه الأمور الصِّعَاب، ولَانَتْ له القلوب الغِضَاب»(٢).

والرفق هو: لين الجانب بالقول والفعلِ والأخذُ بالأسهل والأيسر-ما لم يكن الأيسر فيه إثمًا- ويدخل في الرفق كثرة احتمال أذىٰ الناس، وتجنب الإسراع بالغضب والتعنيف.

وحجج الوحيين الشريفين في الأمر بالرفق في الدعوة إلىٰ الله، ومنها: الخَطابة كثيرة شهيرة:

قال ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [سورة النحل:١٢٥].

قال العلامة ابن عاشور: «وقُيِّدت الموعظةُ بالحسنة ولم تُقَيَّد الحكمة بمثل ذلك؛ لأن الموعظة لَمَّا كان المقصود منها -غالبًا- رَدْعَ نفسِ الموعوظِ عن

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٣١).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص/ ٢٣٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعماله السَّيِّئةِ، أو عن توقُّعِ ذلك منه، كانت مَظِنَّةً لصدورِ غِلْظةٍ من الواعظ، ولحصول انكسارٍ في نفسِ الموعوظ، أرشدَ اللهُ رسولَه أن يتوخَّىٰ في الموعظةِ أن تكون حسنةً؛ **أي بإلَانَةِ القولِ، وترغيبِ الموعوظِ في الخير**»[(١)].

قال الله ﷻ لموسىٰ وهارون عليهما وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

قال المفسر ابن كثير ﷺ: «هذه الآية فيها عِبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العُتُوِّ والاستكبار، وموسىٰ صفوة الله مِن خلقه إذْ ذاك، ومع هذا أُمِرَ ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، وبكلام رفيق لين قريب سهل؛ ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ وأنجع»[(٢)].

فتذكر أيها الخطيب أنك لست في رتبة موسىٰ كليم الرحمن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأن من تخاطبهم ليسوا في رتبة فرعون! فَلِنْ وَتَرَفَّقْ، ولا تجعل العلم رماحًا وسُيُوفًا، ولا تجعل الآراء قَنَابِلَ إِغَارة وكَتَائب قِتَالٍ، فالعلم رحمة، قال الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [سورة الرحمن:١-٢]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧].

---

(١) «تفسير ابن عاشور» [النحل: ١٢٥].

(٢) «تفسير ابن كثير» [طه: ٤٣-٤٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(١).

قال العلامة الـمُناوي ﵀: «بالرفق تسهل الأمور، وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجتمع ما تَشَتَّتَ، ويَأْتَلِفُ ما تَنَافَر وتَبَدَّدَ، ويرجع إلىٰ المأوىٰ ما شَذَّ، وهو مُؤَلِّفٌ للجماعات، جامع للطاعات، ومنه أُخذ أنَّه ينبغي للعالم إذا رأىٰ من يخل بواجب، أو يفعل محرمًا أن يترفق في إرشاده ويتلطف به»(٢).

والرفق وصية رسولنا الكريم ﷺ للدعاة إلىٰ الله ﷻ من أصحابه الكرام حينما كان يرسلهم إلىٰ الآفاق لتعليم الناس ووعظهم، فعن أبي موسىٰ الأشعري ﵁، قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه، قال: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**»(٣).

وقال ﷺ لأبي موسىٰ الأشعري ومعاذ بن جبل ﵄ حينما بعثهما إلىٰ اليمن: «**ادْعُوَا النَّاسَ، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَيَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٤)، ومعنىٰ: شانه، أَي: عابه، والشَّين ضد الزَّين.

(٢) «فيض القدير» (٥/ ٤٦١).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٢).

وقال الإمام سفيان الثوري رحمه الله: «لا يأمر بالمعروف، ولا ينهىٰ عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهىٰ، عدل بما يأمر عدل بما ينهىٰ، عالم بما يأمر، عالم بما ينهىٰ»(١).

وأنشد عبد الملك الأصمعي رحمه الله(٢):

لَمْ أَرَ مِثْلَ الرِّفْقِ فِي لِيْنِهِ ... أَخْرَجَ لِلْعَذْرَاء مِنْ خِدْرَها
مَنْ يِسْتعِنْ بِالرِّفْقِ فِي أَمْرِهِ ... قَدْ يُخْرِجُ الحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا

وأنشد صالح بن عبد القدوس رحمه الله(٣):

لَوْ سَارَ أَلْفُ مُدَجَّج فِي حَاجَةٍ ... لَمْ يَلْقَهَا إلّا الَّذِيْ يَتَرَفَّقُ

ورحم الله العلامة ابن حزم حين قال: «الاتِّسَاءُ بالنبي ﷺ في وعظ أهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب، فمن وعظ بالجفاء والاكْفِهْرَارِ؛ فقد أخطأ وتعدىٰ طريقته ﷺ وصار في أكثر الأمر مُغْرِيًا للموعوظ بالتمادي علىٰ أمره لجَاجًا وحَرْدًا ومُغَايَظة للواعظ الجافي، فيكون في وعظه مُسِيئًا لا مُحْسنًا، ومن وعظ بِبِشْرٍ وتَبَسُّم

(١) صحيح. أخرجه أحمد في «الورع» (ص/١٥٥)، والخلال في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص/٤٦).

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٣٨٩).

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٤١٢) من قصيدة حسنة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولِيْن، وكأنه مشير برأيٍ، ومخبر عن غير الموعوظ بما يُسْتَقبح من الموعوظ فذلك أبلغ وأنجع في الموعظة»[١].

ومن معاني الرفق المداراة، وفي ذلك يقول الحافظ أبو الحسن بن بطال رحمه الله: «المداراة من أخلاق المؤمنين وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوىٰ أسباب الأُلْفَة وسل السَّخِيْمَةِ، وقد ظن من لم يُنْعِمِ النظر أن المداراة هي المداهنة، وذلك غلط، لأن المداراة هي: الرفق بالجاهل الذىٰ يستتر بالمعاصي، ولا يجاهر بالكبائر، والمُعَاطفة في رَدِّ أهل الباطل إلىٰ مراد الله بلين ولطف حتىٰ يرجعوا عما هم عليه.

والمداهنة هي: أن يَلْقَىٰ الفاسق المظهر لِفِسْقِهِ فيؤالفه، ويؤاكله، ويشاربه، ويرىٰ أفعاله المنكرة ويريه الرِّضَا بها ولا ينكرها عليه ولو بقلبه، وهو أضعف الإيمان»[٢].

وحَسْبُ الخطيب إن أراد التمكن من التحلي بالرفق أن يُسَيِّر طرفه في السيرة النبوية العطرة، وما فيها من مواطن عظيمة في الرفق بالمخالف للصواب، مثل:

- رِفقه ﷺ بمن كانت يده تطيش في الصحفة[٣].
- ورِفقه ﷺ بالمرأة التي كانت تبكي عند القبر[١].

---

(١) «الأخلاق والسير» (ص/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (٩/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢)، عن صاحب القصة عُمَر بن أبي سلمة رضي الله عنهما.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- ورِفقه ﷺ بالأعرابي الذي بال في مسجده الشريف[٢].
- ورِفقه ﷺ بالذي جاء يستأذن في الزنا[٣].

فهذه وغيرها يجب أن تكون نُصب عين الخطيب؛ لكي يتحلىٰ بالرفق واللين في الدعوة إلىٰ الله ، لا سيَّما في خطبة الجمعة، والله الموفِّق لا إله إلا هو ولا رب سواه.

لسان الخطيب

قد أمر الله تعالىٰ سيد الخطباء بالفصاحة في الوعظ، قال الله ﷻ: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [سورة النساء:٦٣].

أي: «مؤثرًا واصلًا إلىٰ كُنْهِ المراد، مطابقًا لما سِيق إليه من المقصود»[٤].

وقال ابن سيرين رحمه الله: «لا شيء أَزْين علىٰ الرجل من الفصاحة والبيان»[٥].

وقال الماوردي رحمه الله: «المقصود بالخطبة شيئان: الموعظة، والإبلاغ، فينبغي للإمام أن يرفع صوته بالخطبة ليحصل الإبلاغ، ويقصد بموعظته ثلاثة أشياء:

=

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٢٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٨٤)، عن أنس رضي الله عنه.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٦)، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٤) «تفسير أبي السعود» [النساء: ٦٣].

(٥) ذكره عنه الحافظ ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٥٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* إيراد المعنىٰ الصحيح.
* واختيار اللفظ الفصيح.
* واجتناب ما يقدح في فهم السامع، من تمطيط الكلام ومده، أو العجلة فيه عن إبانة لفظه، أو رَكِبَ ما يُسْتَنْكَرُ من غريب الكلام وإعرابه، ولا يطيل إطالة تضجر، ولا يُقصِّر تقصيرًا يَبْتُر، ويعتمد في كل زمان علىٰ ذكر ما يليق بالحال»[١]

وقال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله: «وأحوج الناس إلىٰ البلاغة الواعظ؛ ليجمع مطالبهم، لكنه ينبغي أن ينظر في اللازم الواجب، وأن يعطيهم من المباح في اللفظ قدر الملح في الطعام، ثم يجتذبهم إلىٰ العزائم، ويعرفهم الطريق الحق»[٢].

وقال العلامة المحقق بن رجب رحمه الله: «والبلاغة في الموعظة مستحسنة؛ لأنها أقرب إلىٰ قبول القلوب واستجلابها، والبلاغة: هي التوصل إلىٰ إفهام المعاني المقصودة، وإيصالها إلىٰ قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها، وأفصحها وأحلاها للأسماع، وأوقعها في القلوب»[٣].

وقال بعض الفضلاء: «أبلغ الخطب ما وافق الزمان والمكان والحال»[٤].

---

(١) «الحاوي الكبير» (٣/ ٤٤١).

(٢) «صيد الخاطر» (١١٥).

(٣) «إصلاح المساجد من البدع والعوائد» للقاسمي (٦٧).

(٤) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا يخفىٰ عليك أيها الخطيب أَنّ شريعة الله تعالىٰ نزلت علىٰ رسول الله ﷺ بلسان عربي مبين، وأنّه ﷺ أفصح من نطق بالضاد، فإن كان الأمر كذلك فاللغة الشريفة هي وعاء الشريعة، وأنت في رتبة الخَطابة من أعلام إبلاغها إلىٰ الناس، وعليه فيجب عليك تقويم لسانك بهذه اللغة الشريفة، بما طرأ عليك من لُكْنَةِ الدارج الفاسد، أو الدخيل العليل.

وقال العلامة أبو العبَّاس بن تيمية رحمه الله: «واعلم أن اعْتِياد اللغة يُؤثر في العقل والخُلُق والدِّين تأثيرًا قويًا بيِّنًا، ويُؤثر أيضًا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق، وأيضًا فإن نفس اللغة العربية من الدِّين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»(١).

وقال المحقق أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله: «الشريعة عربية، وإذا كانت عربية؛ فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم... فإذا فرضنا مبتدئًا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطًا، فهو متوسط في فهم الشريعة والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهىٰ إلىٰ درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة»(٢).

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٥٢٧).

(٢) «الموافقات» (٥/ ٥٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومهما حَفِظْتَ وفَهِمْتَ فلا ثقة بِعِلْم من لا يعرف الإعراب، وهو ساقط من أعين النبلاء، كما قال الشاعر رحمه الله[١]:

ويُعْجِبنِـــي زِيُّ الْفَتَـــىٰ وَجَمَالُـــهُ ... ويَسْـقُطُ مِـنْ عَيْنِـيَّ سَـاعَةَ يَلْحَـنُ

وقال الآخر رحمه الله[٢]:

النَّحْـوُ يَبْسُـطُ مِـنْ لِسَـانِ الأَلْكَـنِ ... والمَـرْءُ تُكْرِمُـهُ إِذَا لَـمْ يَلْحَـنِ

وقال الشيخ الأديب محمد بن حنبل الشنقيطي رحمه الله[٣]:

كُـلُّ فَتًـىٰ شَـبَّ بِـلَا إِعْـرَابِ ... فَهُـو عِنْـدِي مِثْـلُ الغُـرَابِ

وإِنْ رَأَيْتَـه لِخُـودٍ عاشِـقًا ... فَقُـلْ لَهـا: دَعِ الغُـرَاب النَّاعِقَـا

وصدق ابن الوردي رحمه الله حين قال[٤]:

جَمِّـل المَنْطِـقَ بِـالنَّحْوِ فَمَـنْ ... يُحْـرَمِ الإعْـرَابَ بـالنُّطْقِ اخْتَبَـلْ

---

(١) «معجم الأدباء» (٤/ ١٨٦٥).

(٢) «معجم الأدباء» (١/ ٢٦).

(٣) «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» (٣١٩).

(٤) «القصيدة اللامية» (٢٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا رأيت من يذم تعلم النحو، فاعلم أنّه عَسِرٌ عليه، كما عَسُرَ علىٰ ذلك الأعرابي الذي جلس في بعض مجالس تعليم النحو، فلم يفهم منه شيئًا، فأنشأ يقول[١]:

سَـــأَتْرُك النَّحْـــو لأَصْـــحَابه ... وأَصْـــرِفُ الهِمَّـــة فِـــي الصَّـــيْدِ
إنَّ ذَوِي النَّحـــو لَهُـــمْ هِمَّـــةٌ ... مَوْسُـــوْمةٌ بِـــالمَكْرِ والكَيْـــدِ
يَضْـــرِبُ عَبْـــدُ الله زَيْـــدًا ومَـــا ... يُرِيْـــدُ عَبْـــدُ الله مِـــنْ زيْـــدِ

وصدق الأديب أحمد الزيات ﷺ إذ قال: «كراهية من يكره الفصحىٰ لا ترجع إلىٰ نقص فيها، أو قصور فيها، وإنما ترجع إلىٰ قلة العلم بها، وسوء الفَهم لها»[٢].

ولقد كان الأعرابي الآخر أحسن مقالًا من هذا، فحينما خطب رجل لا يحسن العربية، فقال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ﴾ [الروم: ٤١]، بالرفع: البرُ والبحرُ، فقال الأعرابي: وعلىٰ المنابر أيضًا!

ولذلك قالوا: «الخارج عن لغته لحَّان، والداخل في غير فَنِّهِ يفضحه الامْتِحَان»[٣].

قال الفراء ﷺ: «قلَّ رجلٌ أنعم النظر في العربية وأراد عِلمًا غيره إلا سَهُلَ عليه»[١].

---

(١) «بهجة المجالس» (١/ ٦٧).

(٢) «وحي الرسالة» (٤/ ١٣١).

(٣) «طبقات الشافعية» (٩/ ٣٥٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ابن حزم ﷺ: «إنْ جهل هذا العلم عَسُرَ عليه عِلْمُ ما يقرأ من العِلْمِ»[٢].

أي: أنّ علم النحو مفتاح لسائر العلوم، ولا بد أن يكون المفتاح سويَّ الأسنان.

فعلىٰ الخطيب أن يتقن متنًا نحْويًّا حفظًا وفهمًا؛ ليقيم لسانه من اعوجاج الدارج الفاسد، ثم بعد ذلك يَرِد مَعِينَ كتب الأدب، وأسفار أخبار العرب، لِتعْذُبَ كلماته، ويلْطُفَ منطقه، فإن «مَنْ نَظَرَ فِي العَرَبِيَّةِ والشِّعْرِ رَقَّ طَبْعُهُ»[٣]، وَعَذُبَ لفظه.. «**إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا، وإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً**»[٤].

قال شيخ الإسلام الشوكاني ﷺ: «يَنْبَغِي أَن يكون كَلَامه علىٰ قدر عِلمه، وهو إذا لم يمارس جيد النّظم والنثر كان كلامه ساقطًا عن درجة الاعتبار عند أهل البلاغة، **والعلم شجرة ثمرتها الألفاظ**، وما أقبح بالعالم المتبحر فِي كل فن أن يتلاعب به فِي النّظم والنثر من لَا يجاريه فِي علم من علومه، ويتضاحك منه من له أدنىٰ إلمامٍ بمستحسن الكلام ورائق النظام»[٥].

=

(١) «معجم الأدباء» (١/ ١٧).

(٢) «رسائل ابن حزم» (٤/ ٦٦).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٢٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٢١٨)، عن الإمام الشافعي ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري بشطريه؛ الأول (٥١٤٦) عن ابن عمر ﷺ، والثاني (٦١٤٥) عن أُبَيِّ بن كعب ﷺ.

(٥) «أدب الطلب ومنتهىٰ الأرب» (٢٤٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الأديب محمود الطناحي ﷺ: «كان الأدب -وما زال- خيرَ سبيل لإيصال المعرفة، وسرعة انصبابها إلىٰ السمع، واستيلائها علىٰ النفس، والبليغ يضع لسانه حيث أراد»(١).

وأقترح عليك أيها الخطيب تَسْيِيْرَ الطرف في هذه المؤلفات علىٰ جهة الترقي:

الأول: «حلية طالب العلم»، لبكر بن عبد الله أبو زيد.

الثاني: «مختارات من النظرات» لمصطفىٰ المنفلوطي.

الثالث: «أدب الكاتب»، لأبي محمد بن قتيبة الدِّيْنَوَرْي.

الرابع: «الكامل»، لأبي العبَّاس المبرد.

الخامس: «الأمالي والنوادر»، لأبي علي القالي(٢).

---

(١) «الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم» (٨٦).

(٢) قال العلامة ابن خَلدون في «المقدمة» (٥٥٣-٥٥٤): «وسمعنا من شيوخنا في مجالس التّعليم أنّ أصول هذا الفنّ وأركانه أربعة دواوين وهي: «أدب الكتّاب» لابن قتيبة وكتاب «الكامل» للمبرّد وكتاب «البيان والتّبيين» للجاحظ وكتاب «النّوادر» لأبي عليّ القالي البغداديّ. وما سوىٰ هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها».

وقال الشيخ محمود الطناحي ﷺ بعد أن ذكر كلام ابن خَلدون فقال: «ونعم، لقد أحسن كل الإحسان من عد هذه الكتب الأربعة أصول علم الأدب، فإن كتاب ابن قتيبة يدور حول اللغة، في تسمية الأشياء وخلق الإنسان والحيوان، وأصول الهجاء، وضوابط الأبنية، وتقويم اللسان ولحن العامة، وكتاب المبرد كتاب لغة ونحو وأخبار، وكتاب الجاحظ دائر حول البيان والبلاغة والخطابة، مع الاسترسال إلىٰ المعارف الأخرىٰ، وكتاب القالي المعروف بالأمالي والنوادر» كتاب لغة وغريب وشعر، فمن خصَّ هذه الكتب، ثم أطال الوقوف عندها والنظر فيها فاز بأوفر الحظ والنصيب»! «مقالات الطناحي» (١/ ٢٦١).

السادس: «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» لضياء الدين ابن الأثير.

السابع: «الصناعتين» للأبي هلال العسكري.

فمن اغترف من هذه الأسفار الأدبية أو غيرها، أسفر لسانه، وتبلج بيانه، برُقِّيّ لفظه ورِقَّة طبعه، وعذوبةِ كَلِمِهِ، وهنا يَعرِض حجج الوحيين الشريفين، وآثار السلف الصالحين بأسلوب بَلِيغٍ يُشَنِّفُ الأسماعَ ويُلَيِّنُ الطِّباع، فعسىٰ أن يسلك بسامعيه طرق الفوز والخلاص، وكل ذلك بعد بركة الإخلاص.

ولا تحزن إذا كنت تشكو من نسيان ما تحفظه من كلام الشعر والحكمة؛ فإن الذهن سيخرجه لك في قالبٍ آخر يظهر في بيانك أو بنانك، علىٰ حسب تَرَقِّيك في سُلَّم القراءة ومعراج المعرفة.

صوت الخطيب

من بركات سلامة لسان الخطيب يأتي جمال صوته، **ولذلك ثلاث قواعد:**

الأولىٰ: جهارة صوت الخطيب وحسنه.

الثانية: اتزان نبرات صوت الخطيب.

الثالثة: الوقوف المناسب في الكلام.

أما جهارة صوت الخطيب وحسنه، فإن جهارة صوت الخطيب وجماله من الصفات المجمِّلة للخطيب، المُعِينة له علىٰ التمكن من استمالة نفوس السامعين وتتطلب إصغائهم إليه، وقد يكون الخوف والخجل من أسباب ضعف الصوت، وتعثر الكلام، لذلك علىٰ الخطيب أن يتخطىٰ هاتين العقبتين بأن يتسلح بالشجاعة والجرأة، وسيأتي الحديث في شجاعة الخطيب.

ومن علامات حسن صوت الخطيب أن يجعل الخطيب صوته مناسبًا للمكان الذي يخطب فيه، والجَمْع الذي يستمع إليه، فلا ينخفض صوته حتىٰ يصير في آذانهم همسًا، ولا يعلو حتىٰ يكون صياحًا يصكُّ الآذان، بل يجعل ذلك وسطًا.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، قال جابر بن عبد الله ﷺ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «**صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**»[1].

---

(١)أخرجه مسلم (٨٦٧).

قال العلامة أبو العبَّاس القرطبي ﷺ: «هذا في أحوال، وهذا مُشْعِرٌ بأن الواعظ حقه أن يكون منه في وعظه بحسب الفصل الذي يتكلم فيه ما يطابقه، حتىٰ لا يأتي بالشيء وضدُّه ظاهرٌ عليه»(١).

وقال الإمام النووي ﷺ: «يُستحب للخطيب أن يُفخم أمر الخطبة ويرفع صوته ويُجْزِلُ كلامه، ويكون مطابقًا للفصل الذي يتكلم فيه من ترغيب أو ترهيب، ولعل اشتداد غضبه كان عند إنذاره أمرًا عظيمًا وتحديده خطبًا جسيمًا»(٢).

وأما اتزان نبرات صوت الخطيب: فالمراد أن يجعل الخطيب صوته مناسبًا للمكان والسامعين، فيرسله إرسالاً متوازنًا فيقوىٰ في مواطن القوة ويرفُق في موطن الرفق، مما يُسبب تجديد الانتباه وإيقاظ الأذهان، وتحريك المشاعر، وتجديد نشاط السامع في تدبر كلمات الخطبة.

ويَحْسُن بالخطيب أن يبدأ صوته منخفضًا، ثم يرفعه شيئًا فشيئًا، علىٰ قدر المَواطن التي يمر بها، وبذلك يتدرج مع نفس السامع واستعداده لتلقي الكلمات؛ سماعًا وفهمًا، وأما إذا فجأ الأسماع بارتفاع الصوت في بدء خطبته فإن هذا لا يجدي في استمالة النفوس واستدراج السامعين إلىٰ الإصغاء، بل حين تَقْرَعُ

---

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢/ ٥٠٦).

(٢) «شرح صحيح مسلم» حديث رقم (٨٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أسماعهم لأول وهلة يتمنون سكوت الخطيب، حتىٰ يتخلصوا من عناء المفاجأة التي صكَّت أذانهم وأغلقت منافذ أسماعهم.

ويَحْسُن بالخطيب أن يتمهل في إلقاء الكلام فلا يُسرع إسراعًا لا يتمكن السامع من فهم الكلام وتدبره، ولا يبطء إبطاءً يُصيب السامعين بالسآمة والملل وشتات الذهن.

تقول أم المؤمنين عائشة ﵂ في وصف إلقاء النبي ﷺ للكلام: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا، لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ»(١).

ولا شك أن هذا يدل دلالة واضحة علىٰ قلة الكلام وقِصَره، ويدل أيضًا التمهل والترسل في إلقائه.

ويقول الإمام الشافعي ﵀ في صفة كلام الخطيب: «وأحب أن يكون كلامه كلامًا مترسلًا مبينًا مُعْرَبًا بغير الإعراب الذي يشبه العِيّ وغير التمطيط وتقطيع الكلام ومده وما يستنكر منه، ولا العجلة فيه عن الإفهام، ولا ترك الإفصاح بالقصد، وأحب أن يكون كلامه قَصْدًا بليغًا جامعًا»(٢).

وقال العلامة ابن قدامة ﵀: «ويستحب أن يكون في خطبته مترسلاً، مبينًا، معربًا، لا يَعْجل فيها، ولا يمططها»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٣).

(٢) «الأم» (١/ ٢٣٠).

(٣) «المغني» (٣/ ١٨٠).

ومن علامات النطق الجيد أن يتجنب الخطيب اللحن في العربية والخطأ.

ومن علامات حُسنُ الصوت أن يصوِّر الخطيب المعاني بنطقه فيلائم بين المعاني ونغمات صوته، فتختلف نغمة الترغيب مِن نغمة الترهيب، ونغمة الرجاء مِن نغمة الخوف، وهكذا نغمات الصوت بين الابتهاج والاكتئاب، وبين الغضب والإشفاق، وبين التعجب والتحسر، وبين الإخبار والتساؤل.

أما الوقوف المناسب في الكلام:

فمن قواعد الإلقاء الجيد، أن يُراعي الخطيب أثناء إلقائه المواطن التي يكون الوقوف عندها مناسبًا؛ لأن إهمالها وعدم الاكتراث بها قد يوقع الخطيب في الحرج والضيق، كأن يتابع الخطيب سرد كلمات من غير أن يلتقط نفسًا، ثم يُضطر إلىٰ الوقف؛ لضيق نَفَسِه، فيأتي وقوفه في وسط الكلمة أو نهايتها فيبترها بترًا؛ فلا يكتمل معناها في ذهن السامع فيسبب تشتيته وتمزيق الفكرة في ذهنه.

ومما يساعد علىٰ تحقيق الوقف المناسب إتقان قواعد الإملاء، وأماكن علامات الترقيم، بعد الجمل والكلمات، وهذا ميسرٌ لمن طالع كتابًا في هذا الفن وهي كثير، ولله الحمد.

كما أن علىٰ الخطيب أن يقف قبل وبعد كل فكرة، وقد قيل: إن الصمت أحيانًا كالحديث، فلذلك عندما يصمت بحكمة أثناء الإلقاء يُحدِثُ وَقْعًا عظيمًا علىٰ السامعين، ولكن لا بد أن تكون تلك الوقَفَات مناسبة، في الهيئة والمكان، وإلا أفسدت الإلقاء.

إشارة الخطيب

مما يحسن بالخطيب: التحلي بالإشارة فربما كانت أبلغ من عبارة، شريطة التناغم بين الإشارة والعبارة، فأما إذا اختلفتا فاضطراب وقلق للمستمع، لا يدري أيسمع أم يبصر، لأن كلًّا منهما في واد، وحسبنا في ذلك هدي سيد الكاملين عليه صلوات رب العالمين، ومن ذلك:

الأول: قال البخاري في كتاب العلم: (باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس)، ثم ساق حديث ابن عبَّاس ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، قَالَ: «**وَلاَ حَرَجَ**» قَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: «**وَلاَ حَرَجَ**»[(١)].

الثاني: قال ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**» وقرن بين إصبعيه السبابة والوسطىٰ[(٢)].

الثالث: قال ﷺ: «**يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ**»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ: «**هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ**»[(٣)].

قال أبو عثمان الجاحظ: «والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤) بهذا اللفظ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٦)، ومسلم (٨٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (٨٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الشاعر[٢]:

والعَـيْنُ تَنْطِـقُ والأَفْـوَاهُ صَـامِتَةٌ حَتَّىٰ تُرَىٰ مِنْ ضَمِيْرِ القَلْبِ تِبْيَانَا

والناس في ذلك بين إفراط وتفريط، وخير الأمور أوسطها، فلا إشارات أَيْدي، ولا اضطراب أجساد، ولا نقيض ذلك، خمول وفتور، فالأول يسبب الضجر، والثاني يسبب الملل.

ولن يتأتىٰ للخطيب معرفة الوسط في ذلك إلا بتذوق كلام الفصحاء، وخطب البلغاء، فيعرف متىٰ تجتمع الإشارة مع العبارة، ومتىٰ يفترقان، ويعرف متىٰ يستدعي العبارة بالإشارة، ومتىٰ يستدعي الإشارة بالعبارة، والمراس يأتي بالتفنن والإبداع، والله الموفِّق لمن شاء.

ولمن أراد المزيد في هذا الباب فليولِّ وجهه شطر هذه البحوث:

- «الإشارة الجسمية في الأحاديث النبوية، دراسة دلالية في متن «صحيح مسلم».
- «حركة اللغة غير المنطوقة في الحديث النبوي».
- «لغة الجسم في السنة النبوية».

=

(١) «البيان والتبيين» (١/ ٥٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٥٨).

- «وظائف لغة الجسد الإبلاغية في الحديث النبوي الشريف».
- «لغة الجسد في الخطاب النبوي الشريف».
- «لغة الجسد في التعليم النبوي».
- «التواصل غير اللفظي في الحديث النبوي».

تنبيهٌ:

قال الإمام الشافعي ﷺ في شأن الخطيب: «وإن لم يعتمد علىٰ عصا أحببت أن يُسْكِّنَ جَسده ويديه، إما بأن يضع اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ وإما أن يُقِرَّهُمَا في موضعهما ساكنتين ويُقِلَّ التَّلَفُّتَ ويُقبِلَ بوجهه قصد وجهه، ولا أحب أن يلتفت يمينًا ولا شمالًا؛ ليُسمِع الناس خطبته؛ لأنه إن كان لا يُسمِع أحد الشقين إذا قصد بوجهه تلقاءه فهو لا يلتفت ناحية يُسمِع أهلها إلا خفي كلامه علىٰ الناحية التي تخالفها مع سوء الأدب من التلفت»[(١)].

وقد احتج المانعون من التفات الخطيب بأن رسول الله ﷺ كان إذا صعِد المِنبر استقبل الناس بوجهه، ولكن قال الحافظ الترمذي: «ولا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء».

قلت: وعلىٰ صحتها فليست صريحة في نفي الالتفات؛ لإمكان الجمع بين الاستقبال والالتفات أحيانًا، فعن أبي بكرة ﷺ قال: «رأيت رسول الله ﷺ علىٰ

(١) «الأم» (١/ ٢٣٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المنبر والحسن بن علي إلىٰ جنبه، وهو يُقْبِلُ علىٰ الناس مرة، وعليه أخرىٰ ويقول: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(١).

وعليه فحديث: «كان ﷺ لا يلتفت في الخطبة» ليس له أصل، والباب مبسوط في «المدخل إلىٰ علم السيرة النبوية»، يسر الله نشره.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

شجاعة الخطيب

أمام كل متأهل للخَطابة عقبتان إذا اقتحمها أفضىٰ إلىٰ روض الخَطابة الباسم:

الأولىٰ: عقبة الإعداد العلمي والعمق المعرفي، الذي يصرف عنه الاتكال علىٰ الخطب المُعَدَّة في الكتب أو المحفوظة في آلات التسجيل، ويَسْلم أيضًا من نقيصة الإكثار من الإنشاء والتعبير، لمِلء النقص العلمي والخواء المعرفي.

العقبة الثانية: الخجل من الوقوف أمام الناس ومخاطبتهم مشافهة.

فمن اقتحم العقبة الأولىٰ -وهي الأشد- فالثانية أسهل؛ لأن قوة العلم تزرع قوة النفس وتنميها.

وأما من اقتحم العقبة الثانية ولم يقتحم الأولىٰ، فإنما يخرج متهورًا عجولًا، غضوبًا؛ لأنه كسر حاجز الخجل، ولم يَبْنِ الملكة العلمية، التي تضفي عليه رونق العدل والحكمة، والصبر والحلم، وقبل ذلك الإخلاص.

ومصير هذا الصنف الانكسار أو الانحسار، «فكل عِزٍّ لم يؤيد بعلم؛ فإلىٰ ذُلٍّ يصير»[(١)].

وتحلي الخطيب بقوة العلم وقوة النفس هو صوب السداد وعين الصواب، وقد تقدم بيان أُسُس بناء قوة العلم في الأبواب السابقة.

وأما قوة النفس فلا غنىٰ للخطيب عنها.

---

(١) قاله حكيم العرب الأحنف بن قيس ﷺ أخرجه عنه الدِّيْنَوَري «المجالسة وجواهر العلم» (٥/ ٩٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال العلامة أبو هلال العسكري ﷺ: «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح؛ لأنّ الحَيرة والدَّهَش يورثان الحُبْسة والحَصَر؛ وهما سبب الإرتاج والإجبال[١].

وعلامة سكون نفس الخطيب ورِباطة جَأْشه هدوؤه في كلامه، وتمهّله في منطقه.

وقال ثمامة: كان جعفر بن يحيىٰ أنطق الناس، قد جمع الهدوء والتمهّل، والجزالة والحلاوة، ولو كان في الأرض ناطق يَستغني عن الإشارة لكانه»[٢].

وقال أبو داود بن حريز ﷺ: «تلخيص المعاني رفق، والاستعانة بالغريب عجز، والتشادق من غير أهل البادية بغض، والنظر في عيون الناس عِيّ، ومس اللحية هُلْكٌ، والخروج مما بُنِيَ عليه أول الكلام إسهاب»[٣].

وهنا بعض أسباب تُعِيْنُ علىٰ التخلي عن داء الخجل والتحلي بالشجاعة:

الأول: الاستعانة بالله تعالىٰ، وتحقيق عبودية التوكل، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق:٣].

---

(١) الإرتاج: الإغلاق، والإجبال: الإخفاق.

(٢) «الصناعتين؛ الكتابة والشعر» (٢٣).

(٣) «البيان والتبيين» (١/ ٣٥).

و«قد دخل تحت قوله: ﴿فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ من المعاني ما يطول شرحه من إيتاء ما يُرجىٰ، وكفاية ما يُخشىٰ»[١].

الثاني: الدعاء والتضرع بين يدي الكريم الوهاب، بدعاء كليم الرحمن موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾ [سورة طه:٢٥-٢٩]، أو هذا الدعاء: «اللهم ثبت جناني وأطلق لساني»، ونحو ذلك.

الثالث: مجاهدة النفس في العمل بالعلم، لا سيَّما العلم الذي تعظ الناس به؛ فإن مخالفة العمل للعلم مما يبعثر الكلام ويُعثِر اللسان؛ لأن عُقْدة الذنب تكبلك عن الانطلاق، والعصيان سبب الخِذلان.

الرابع: تجنب الإفراط في المزاح؛ لأن مركب الخَطابة هو الجِّد والحزم، فحينما يرىٰ أمامه من أفرط معهم في المزاح، يختلجه شكهم في جِّده، وأنهم يتذكرون هزله، فيضطرب.

الخامس: التهوين من أمر الناس أمامه، وأنهم بشر يخجلون، ويخطئون، وأنهم هم الذين يراهم في المجالس والمدارس، ويبادلهم الحديث في أمور شتىٰ، فما الذي عظمهم أمامه الآن؟ «ومن عرف الناس استراح»[٢].

---

(١) «الصناعتين» (٣٧).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٩٣).

السادس: أن يعلم أن سامعيه إذا خرجوا لن يكون حديثهم التَّهتهة، أو الفأفأة، التي شغلتك أنت، أما العقلاء وهم أكثر السامعين فحديثهم سيكون في براعتك في الطرح، وبلاغتك في الشرح، وعمق أمر خطبتك، وملامسته لحاجاتهم، ولن يلهج بأخطائك إلا الأخِفَّاء!

السابع: المِرَان علىٰ مخالطة الناس، ومحاورتهم، في مذاكرة العلم، أو المحاورات العلمية في المجالس، أو المساجلات الشعرية في الأعراس والأسمار، وغير ذلك.

الثامن: تمرين نفسك علىٰ الخَطابة أمام المِرآة، أو بين سواد الأغنام، أو بين أولادك، أو حتىٰ بين الصخور، وتتعرف مواطن النقص بالرؤية البصرية، أو بسماع الخطبة بعد حفظها في آلات التسجيل الحديثة، وتسعىٰ في طلب الكمال.

التاسع: تقوية الحرص في القلب علىٰ هداية الناس، والغَيرة عليهم، فالطبيب الصادق تؤلمه أمراض الناس، فيسعىٰ في تخليصهم منها بحزم وعزم، وقوة قلب، ولو كان هازلًا رقيقًا ما أزال علة، ولا داوىٰ جراحًا، وأنت أيها الخطيب طبيب قلوب الناس، وقد عرفت ما دب إليها من أمراض وآفات، فهل يليق بك أن تقف أمامها موقف الهازل الضعيف، أو المازح الخفيف، تغمض عينك وتجمع ريقك؟!

العاشر: استشعر فضل الله عليك، بأن علمك ما لم تكن تعلم، وأنعم عليك فألحقك بركب المصلحين من الأنبياء والأولياء، فأضحيت تقوم مقامهم، وتعتلي منابرهم، فارتفعت رتبتك علىٰ كثير ممن أمامك، فازرع الثقة بنفسك، وقدراتك

العلمية، مع مراقبة النفس أن تزل في هُوة الفخر، «فالعارف يسير إلىٰ الله بين مشاهدة المِنَّة ومطالعة عيب النفس والعمل»[١].

تلك عشرة كاملة، لمن أراد اقتحام العقبة ليفك الرقبة عن الخجل والوجل، الذي أقعد جماعة من طلاب العلم عن الدعوة إلىٰ الله، لا سيَّما علىٰ أعواد المنابر، والله الموفِّق والمستعان.

(١) «الوابل الصيب» (١٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لباس الخطيب وهيئته

قال الله ﷻ: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف:٣١].

قال الحافظ ابن كثير ﷺ: «ولهذه الآية، وما ورد في معناها من السنة، يُستحب التجمل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، والطيب؛ لأنه من الزينة، والسواك؛ لأنه من تمام ذلك»(١).

وقد وردتْ أحاديث كثيرة في استحباب التطيب والتجمل في الثياب والهيئة يوم الجمعة، وهي أحاديث عامة يدخل فيها الخطيب من باب أولىٰ؛ لأنه قدوة للناس في العمل والآداب، ومن تلك الأحاديث:

عن عبد الله بن سلام ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا عَلَىٰ أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، سِوَىٰ ثَوْبَيْ مَهْنَتِهِ**»(٢).

بل هناك حديث خاص يدل علىٰ استحباب حُسْنِ المظهر للخطيب في يوم الجمعة، فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: رأىٰ عمر بن الخطاب حُلة سِيَرَاء عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله، لو اشتريتَها، فلبِستَها يوم الجمعة وللوفد، فقال ﷺ: «**إِنَّمَا يَلْبَسُهَا مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ**»(٣).

---

(١) «تفسير ابن كثير» [الأعراف: ٣١].

(٢) **صحيح**. أخرجه أبو داود (١٠٧٨)، وابن ماجه (١٠٩٥)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري (٨٨٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلم يُنكر رسولنا الكريم ﷺ علىٰ الفاروق رضوان الله عليه اختصاص الجمعة بلُبْس الحلة، وإنما أنكر عليها كونها من الحرير، ولُبْسها حرام، ولهذا قال جابر بن عبد الله ﷺ قال: «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بُرْدٌ يَلْبَسُه فِي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ»(١).

وقال الإمام الشافعي ﷺ: «وأحب للإمام من حُسْنِ الهيئة ما أُحِب للناس، وأكثر منه»(٢).

وقال شيخ الشافعية باليمن الإمام يحيىٰ بن أبي الخير العِمراني ﷺ: «ويُستحب للإمام من ذلك -أي: اللباس يوم الجمعة- أكثر مما يُستحب لغيره؛ لأنه يقتدىٰ به»(٣).

وقال العلامة ابن قدامة ﷺ: «والإمام في هذا ونحوه آكد من غيره؛ لأنه المنظور إليه من بين الناس»(٤).

وقال الإمام النووي ﷺ: «ويُستحب للإمام أكثر مما يُستحب لغيره من الزينة وغيرها، وأن يتعمم ويرتدي أفضل ثيابه البيض كغيره. هذا هو المشهور»(٥).

ويُستحب أن يكون لباس الخطيب من البياض، ويحل لُبس السواد:

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٣٥٠)، وما جاء في وصف البرد بالأحمر، فضعفه الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (١/ ١٧١).

(٢) «الأم» (١/ ٢٢٦).

(٣) «البيان» (٢/ ٥٨٨).

(٤) «المغني» (٣/ ٢٣٠).

(٥) «المجموع» (٤/ ٥٣٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعن ابن عبَّاس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمِ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ**»(١).

قال الإمام الماوردي ﷺ: «كان النبي ﷺ والخلفاء الأربعة يلبسون البياض»(٢).

وقال الحافظ ابن القيم ﷺ: «دخل مكة وعليه عمامة سوداء، ففيه دليل علىٰ جواز لبس السواد أحيانًا، ومِن ثَمَّ جعل خلفاء بني العبَّاس لُبس السواد شعارًا لهم، ولِوُلَاتِهِم، وقضاتهم، وخطبائِهِم، والنبي ﷺ لم يلبسه لباسًا راتبًا، ولا كان شعاره في الأعياد والجمع والمجامع العظام البتة، وإنما اتفق له لُبس العمامة السوداء يوم الفتح دون سائر الصحابة، ولم يكن سائر لباسه يومئذ السواد، بل كان لِوَاؤُه أبيض»(٣).

وعن عمرو بن حَريثٍ ﷺ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ»(٤).

قال الإمام النووي ﷺ عند هذا الحديث: «فيه جواز لباس الثياب السود، وفي الرواية الأخرىٰ خطب الناس وعليه عمامة سوداء، فيه: جواز لباس الأسود في

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد (١/ ٢٤٧)، وغيره.

(٢) «الحاوي» (٢/ ٤٤٠).

(٣) «زاد المعاد» (٣/ ٥٦٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٣٥٩).

الخطبة، وإن كان الأبيض أفضل منه كما ثبت في الحديث الصحيح: «خير ثيابكم البياض» وأما لباس الخطباء السواد في حال الخطبة فجائز، ولكن الأفضل البياض»[١].

فاعتناء الداعي إلىٰ الله بتحسين مظهره وفق الشريعة أمر معروف عن سلف هذا الأمة، فعن ابن عبَّاس ﷺ قال: «لما خرجت الحَرُوريَّة أتيت عليًا ﷺ فقال: ائتِ هؤلاء القوم، فلبِستُ أحسن ما يكون من حُلَل اليمن، فأتيتهم، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عبَّاس، ما هذه الحُلَّة؟ قال: ما تعيبون عَلَيَّ! لقد رأيت علىٰ رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحُلل»[٢].

وكان الإمام مالك بن أنس ﷺ إذا خرج إلىٰ طلاب العلم خرج متزينًا مُكَحلًا مُطَيَّبًا قد لُبِس من أحسن ثيابه، وكان يقول: «ما أدركت فقهاء بلدنا إلا وهم يلبسون الثياب الحسان»[٣].

وقال العلامة المناوي ﷺ: «وكتب بعضهم إلىٰ مَلِك: بلغني أنك تأكل الرِّقاق، وتلبس الرِّقاق، فأجابه:

حَسِّنْ ثِيَابَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهَا ... زَيْنُ الرِّجَالِ بِهَا تُعَزُّ وتُكْرَمُ

وَدَعِ التَّخَشُّنَ فِي الثِّيَابِ تَوَاضُعًا ... فَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّ وَتَكْتُمُ

---

(١) «شرح صحيح مسلم» حديث رقم (١٣٥٩).

(٢) حسن. أخرجه أبو داود (٤٠٣٧)، وحسَّن إسناده الألباني.

(٣) «شعب الإيمان» (٥٨٠٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَرَثَـــاثُ ثَوْبِـــكَ لا يَزِيْـــدُكَ رِفْعَـــةً عِنْـــدَ الإِلَـــهِ وَأَنْـــتَ عَبْـــدٌ مُجْـــرِمُ

فينبغي لكل عاقل تنظيف ثوبه عن الدنس الحسي، وقلبه عن الدنس المعنوي، ويلحظ استحسان النظافة الحسية، وحُسْن رَوْنَق المتصف بالنظافة المعنوية، ويلحظ قولهم: ما من أمر معنوي إلا وجعل له مثال حسي يدل عليه»[(١)].

قال العلامة العز بن عبد السلام ﷺ: «ولا بأس بِلُبْسِ شعار العلماء من أهل الدين ليُعرفوا بذلك فيُسألوا؛ فإني كنت مُحْرِمًا فأنكرتُ علىٰ جماعة من المحرمين لا يعرفونني ما أَخلُّوا به من آداب الإحرام فلم يقبلوا، فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرتُ علىٰ الطائفين ما أَخلُّوا به من آداب الطواف فسمعوا وأطاعوا، فإذا لَبِس شعار الفقهاء لمثل هذا الغرض كان له فيه أجر؛ لأنه سبب لامتثال أمر الله، والانتهاء عما نهىٰ الله عنه»[(٢)].

واعلم أيها الخطيب أن الفاقة لا تمنع الأناقة، وأن الرَّثاثة لا تعني الزَّهادة، بل كما قال سيد التابعين سعيد بن المسيب ﷺ: «أصلح قلبك والْبَس ما شئت»[(٣)].

وأوسع كتاب في أداب اللباس وصفته بالحرف والصورة، هو: كتاب «أحكام لباس الرجل في الفقه الإسلامي» للشيخ ناصر بن محمد الغامدي.

---

(١) «فيض القدير» (٢/ ٢٩٧).

(٢) «فتاوىٰ سلطان العلماء» (ص/ ١٣٨-١٣٩)

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الخمول والتواضع» (١٥٧).

اختيار وإعداد موضوع خطبة الجمعة

إنَّ خطبة الجمعة أوسع طريقة للإعلام؛ لأنها في كل حاضرة وبادية، لكن مما أضعف تأثيرها هشاشة الإعداد، أو التغريد خارج سِرْب المستمعين؛ كالذي يخطب في الديمقراطية وفروعها في بادية!

فَحُسْن اختيار موضوع الخطبة هو لُبُّها وروحها، وبحسب الموضوع يكون وقعُ الخطبة، والخطيب الذي يُقَدِّر سامعيه ويُجلهم ويُقَدِّر وقتهم ويسعىٰ أن لا تضيع في غير فائدة؛ يحرص غاية الحرص علىٰ موضوع الخطبة، ويجتهد غاية الاجتهاد في أن يكون موضوعها نافعًا للناس، ويتبدئ فقه الخطيب وحُسْن اختياره للموضوعات في الخطوات التالية، في الصفحات الآتية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاعتناء بإعداد موضوع الخطبة:

إعداد الخطيب لخطبته ليس عيبًا ولا دليلًا علىٰ ضعف قدرته الخطابية، بل هو شاهد صدق علىٰ حرصه علىٰ نفع الناس بإسماعهم حجج الشريعة المطابقة للحال والمُصْلِحة للمآل، ومن الحجة لذلك ما يلي:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٣٣].

قال المفسر السعدي ﷺ: «وفي هذه الآية دليل علىٰ أنه ينبغي للمتكلم في العلم من محدِّثٍ، ومُعلِّمٍ، وواعظٍ؛ أن يقتديَ بربِّه في تدبيره حالَ رسوله ﷺ، كذلك العالِمُ يدبِّر أمرَ الخلق، فكلما حدث موجِبٌ أو حصل موسم؛ أتىٰ بما يناسب ذلك من الآيات القرآنيَّة، والأحاديث النبويَّة، والمواعظِ الموافقةِ لذلك»(١).

وعن ابن عبَّاس ﷺ في قصة سقيفة بني ساعدة، قال أمير المؤمنين عمر ﷺ: «أردت أن أتكلم وكنت قد زَوَّرْتُ مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر...»(٢).

وفي رواية عائشة ﷺ قالت: قال عمر ﷺ : «والله ما أردت بذلك إلا أنني قد هَيَّأْتُ كلامًا قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر...»(٣).

---

(١) «تفسير السعدي» [الفرقان: ٣٣].

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٨).

ومعنىٰ «زَوَّرْتُ في نفسي مقالة» أي: هَيَّأتها وأصلحتها. وقيل: قويتها وشددتها، ومعناهما قريب، أي: زوَّر ما يقوله وأعده[١].

وقال هشام بن عمار خطيب دمشق ﷺ: «ما أَعَدْتُ خطبة -أي كررتُ- منذ عشرين سنة»[٢].

وقال العلامة الجويني ﷺ: «فإن الخطباء لو لزموا شيئًا واحدًا، وأَنِسَ به الناس، وتكرر علىٰ مسامعهم، لأَوْشَك ألاّ تَحْصُل فائدة الوعظ؛ فإن النفوس مجبولة علىٰ قلة الاكتراث بالمُعادات، فهذا كذلك، وإن كنت لا أشك في أن الخاطب لو لَزِم كلمات معهودة في ركن الوعظ، أو كان يُعيدُها، فيكفيه ذلك؛ فإنه قد يختلف السامعون، ويتبدلون في كل وقت»[٣].

وقال الحافظ السقاف ﷺ: «الخَطابة مَرْكَب ليس بالذلول، فيجب علىٰ من يُرَشِّح نفسه لها أن يستكمل الآلات، وأن يستجمع الأدوات؛ ليَمْلِك الخواطر، ويستهوي القلوب، ويخلُب العقول، ويستميل النفوس، حتىٰ يتمكن من إزعاجها عن الحضيض، ويُحلِّق بها إلىٰ القُلل، **ومن لم يُخرِج الناس بلون غير الذي دخلوا به فليس بخطيب!**»[٤].

---

(١) «مطالع الأنوار علىٰ صحاح الآثار» (٣/ ٢٤٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٤٣٠).

(٣) «نهاية المطلب في دراية المذهب» (٢/ ٥٤٢).

(٤) «بلابل التغريد» (١٦٢).

إذن فلا بد من التهيؤ والإعداد للخطبة، وللأسف أن بعض الخطباء ربما سئل عن الموضوع الذي سيخطب فيه قبل صلاة الجمعة بقليل وكثيرًا ما تكون الإجابة: لا زلت مترددًا! وكأنه إمام المعقول والمنقول أحمد بن تيمية رضوان الله عليه.

فإذا كان هؤلاء لم يسموا موضوع الخطبة فما ظنك بالإعداد لها؟

ولا شك أن هؤلاء وأمثالهم لم يذوقوا فوائد الإعداد عليهم وعلىٰ مستمعيهم، **ومن تلك الفوائد:**

الأولىٰ: أن الإعداد يُكسب الخطيب التعمق العلمي في تناول الموضوع من جميع جوانبه علىٰ ضوء حجج الوحيين الشريفين، وكلام السلف، والعلماء والشعراء، فهو بالإعداد الجيد يضاعف زاده العلمي.

الثانية: أن الإعداد يُكسب الخطيب الثقة الجيدة بنفسه، وبقدرته العلمية والخَطابية، بخلاف ما لو لم يكن مُعِدًّا لها إعدادًا جيدًا؛ فإنه ربما ارتبك وأُرْتِجَ عليه، وهذا يضر به في نفسه وفي الناس.

الثالثة: أن الإعداد يُكسب الخطيب ثقة السامعين له، وإعجابهم به؛ لأنه أشعرهم بتقديره لهم وحرصه علىٰ إفادتهم من جهة العناية الفائقة بالموضوع، والإعداد المناسب له.

الرابعة: الإعداد الجيد يُعين الخطيب علىٰ تسمية موضوع الخطبة، ويساعده علىٰ عدم التشتت وتَكرار اللفظ، وارتجال الكلمات لمِلء النقص الواقع مِن ترك الإعداد.

مراحل جمع الخطبة:

اعلم أيها الخطيب الموفق أنك في مقام رسول الله ﷺ؛ توقع عن الله وتبلغ سنة رسول الله ﷺ، في الإسلام والإيمان، والعبادة والأخلاق العامة والخاصة، والقاصرة والمتعدية، فلا بد أن تمتلئ بالعلم وتتغذىٰ بالمعرفة؛ لتقول عن علم، وتعظ عن معرفة، ودونك ثمانيَ مراحل لجمع خطبة علمية تقوم علىٰ أصل العلم وأساس المعرفة.

الأولىٰ: جمع الآيات الكريمة في موضوع الخطبة، ويبدأ بأَصْرَحِهَا دلالة، وأظهرها بيانًا.

فإن لم تَكْفِ في بعض الموضوعات، اتجه إلىٰ الآيات العامة، ويشير إلىٰ مأخذ الاستنباط، حتىٰ يتضح للسامعين وجه الاحتجاج بها علىٰ ذلك الموضوع.

الثانية: الرجوع إلىٰ التفسير المختصر لما يُشكل من لفظ بعض الآيات المتصلة بموضوع الخطبة، ويكفيه في هذا «تفسير الجلالين»، أو «زبدة التفسير».

الثالثة: إتْبَاعُ بعض تلك الآيات بكلام وجيز محكم، يناسب شأن الوعظ، وهذا يحتاج إلىٰ النظر في أكثر من تفسير، وإن كان لتفسير العلامة السعدي رحمه الله القِدحُ المعلىٰ في هذا الباب، وعليه مطالعة كتاب «الآيات التي قيل فيها: إنه أصل في الباب»، مع التفريق بين مقام التعليم ومقام الوعظ، فيطعم كل مقام بما يناسبه، والله يتولىٰ هدايته.

الرابعة: جمع الأحاديث الشريفة في موضوع الخطبة، ويبدأ بالأحاديث الظاهرة في الدلالة في اللفظ والمعنىٰ.

فإن لم تَكْفِ في بعض الموضوعات، اتجه إلىٰ الأحاديث الدالة علىٰ الموضوع بالمعنىٰ، ويبيِّن مأخذ الاستنباط ووجه الشاهد لموضوع الخطبة.

وأستحسن له البدء بمُخْرِجِ الحديث، ثم الصاحب الراوي له، ثم لفظه، هكذا:

أخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ...».

وليتجنب هذا الأسلوب: «وجاء عن ابن مسعود مرفوعًا...»؛ لأن هذا الأسلوب في مَيدان التعليم، علىٰ أنه أسلوب يُفوِّتُ ترطيب الأفواه وتشنيف الأسماع بالصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ، وفيه تفويت حق الترضي علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ.

وإن كان الحديث في «الصحيحين» أو أحدهما فلا حاجة لذكر غيرهما من المخرجين للحديث، إلا إن كانت عندهم زيادة ليست في «الصحيحين».

وإن كان الحديث طويلًا اقتصر علىٰ الشاهد؛ لئلا يتشتت السامع، وحفظًا للوقت المُعَدّ لموضوع واحد.

وليجتنب التوسع في تخريج الأحاديث؛ حفظًا للوقت، ورعاية لمقام الوعظ، وحذرًا من إبراز قوة الحفظ، وسعة الإطلاع، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

الخامسة: الرجوع إلىٰ كتب شروح الأحاديث؛ لبيان اللفظ الغريب، أو المُشْكِل، ويكفيه في هذا «النهاية في غريب الحديث والأثر» للعلامة ابن الأثير رحمه الله.

السادسة: إتْبَاع ما تيسر من تلك الأحاديث بالكلام المحكم الجزيل، ويبدأ في هذا بكتاب «الإلمام بدراسة الأحاديث التي عليها مدار الإسلام»، ثم كتب شروح

الأربعين النووية، والشروح المفردة لبعض الأحاديث.

السابعة: انتخاب الآثار والأقوال، وتبدأ هذه المرحلة بالرجوع إلىٰ أقوال الصحابة ﷺ ثم التابعين وتابعيهم، وهي المأخوذة من الكتب المسندة.

وسيأتي بيان مراجع هذه المرحلة، وهي مراجع مفيدة انتخبت الآثار الصالحة المستقيمة؛ قفيًا للأئمة المحققين الذين ملأو كتبهم بتلك الآثار، بعد النظر في موافقتها للكتاب المجيد والسنة المطهرة.

قال الإمام الخطيب البغدادي ﷺ: «وأما أخبار الصالحين وحكايات الزهاد والمتعبدين ومواعظ البلغاء وحكم الأدباء فالأسانيد زينة لها وليست شرطًا في تأديتها»[1].

ثم روىٰ بإسناده عن الإمام ابن المبارك ﷺ وقد سئل: نجد المواعظ في الكتب فننظر فيها؟ قال: لا بأس وإن وجدت علىٰ الحائط موعظة فانظر فيها تتعظ قيل له: فالفقه؟ قال: لا يستقيم إلا بالسماع».

فإذا اجتمع في تلك الآثار سلامة اللفظ وصحة الإسناد، فنورٌ علىٰ نور، أما صحة الإسناد مع مخالفة اللفظ فلن تغني شيئًا، والله الهادي إلىٰ سواء الصراط؛ بعيدًا عن التفريط والإفراط.

ثم يتجه إلىٰ انتخاب أقوال العلماء الناصحين، وهنا يولِّي وجهه شطر الكتب

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢١٣).

المفردة لبعض الموضوعات، كالكتب في الإخلاص، والتوكل، والصبر، والتراحم، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، ورعاية الأيتام، ونحوها، والسؤال مفتاح العلم.

ثم يتجه إلىٰ انتخاب الشعر الفصيح الحسن، فإن من الشعر لحكمة، وهنا يكفيه الكتاب القيم: «الموسوعة الشعرية».

الثامنة: انتخاب بعض القِصص الحسنة ذات العبرة والعظة، فأخبار الصالحين من جنود الله علىٰ القلوب، مصداقًا لقول الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة يوسف:١١١].

وهذه المرحلة تحتاج إلىٰ بحث وتقميش، وسيأتي بعض مراجع القِصص.

ولو قام بعض الباحثين بجمع القِصص الحسنة ووضعها علىٰ الأبواب، لكان من نافع التأليف.

تلك أبواب ثمانية يلج منها الخطيب الموفق إلىٰ جنات العلم في بطون الدفاتر؛ يلتقط الدُّرَّ ويَنظِم الدُّرَر، حتىٰ يأتي قومه بنبأ يقين وعلم متين، فعسىٰ أن يكون من المصلحين.

أما مِلْء النقص بالإنشاء والتعبير، وتمديد الصوت وتمطيط الحروف، ورفع الأيدي وهَزِّ الأكتاف.. فبضاعة الجاهلين، أجارك الله منها!

ولا يعني جمع هذه الحجج أن يذكرها كلها في الخطبة، ولكن اطلاعه عليها يجعله مُلِمًّا بأطراف الموضوع؛ ليطرحه من الجهة الأكثر وَقْعًا في نفوس الناس، ومنها ما يناسب مقام الخطبة، ومنها ما يناسب مقام الموعظة، ومنها ما يناسب

مقام المذاكرة!

فإذا مَلَأ الخطيب إهابه من صنوف العلم وأنواع المعرفة؛ فقد سلك بنفسه طريق المصلحين.

وحدة الموضوع وتجنب التشتت:

وذلك بأن يكون موضوع الخطبة بحججه المتنوعة يخدُم بابًا واحدًا من أبواب العلم، يدور الخطيب حولها بالشرح والتوضيح، بذكر حججها مما سبق ذكره، حتىٰ يكون الموضوع واضحًا جليًّا في عقول السامعين، ثم يَظلُّ باقيًا في قلوبهم وأذهانهم ما شاء الله أن يبقىٰ.

وتنوع موضوعات الخطبة وتشتت الخطيب فيها له مساوئ، منها:

الأولىٰ: تشتيت ذهن السامع وجعله في حَيرة من أمره، فلا يستطيع التمعن في الفَهم، فيخرج بغير فائدة واضحة قَيِّمة مما سمع.

الثانية: ازدحام الموضوعات في ذهن السامع وكثرتها فيُنسي بعضها بعضًا.

الثالثة: أن مِن شأن الخطبة التي يُعالِجُ فيها الخطيب أمورًا مختلفة أن تكون المعالجة لما يطرح فيها معالجة خفيفة سريعة لا تضع -كما يقال- (النقاط علىٰ الحروف) فَتُوجِدُ إشكالات في ذهن السامع لا يجد إجابة لها.

وسبب هذا الشتات القصور في فَهم الأمور وفقهها، أو من ضعف تقدير الخطيب لعقل السامع، أو من ترك الإعداد الجيد لموضوع الخطبة، أو من اعتلائه منزلة ليست له، ولم يستعد لها، أو من الحماس بغير فَهمٍ لأصول الأشياء واتباع أسبابها وطرقها، إلىٰ غير ذلك من الأسباب.

لذا فينبغي علىٰ الخطيب أن يُوْلِيَ هذا الأمر عنايةً خاصةً فيحصر خطبته في موضوع واحد؛ ليُفيد السامعين ويُوقِعُ فيهم وَقْعًا جيدًا.

ولا يعني هذا أن الخطيب لا يتحدث في موضوعين أو ثلاثة، بل هذا متروك

لفطنة الخطيب وحسن تصرفه، فمتىٰ رأىٰ الحاجة إلىٰ ذلك والمصلحة تقتضي ذلك سلك هذا المسلك، لكن يستحسن أن يتحدث في الموضوع الأساس في الخطبة الأولىٰ، ويختص الخطبة الثانية للموضوع الذي ربما يكون طارئًا ويضره التأخير.

مراجع مقترحة لإعداد الخطبة:

مراجع آيات الموضوع:

١) «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم».

٢) «المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم».

٣) «المرشد إلىٰ آيات القرآن الكريم».

٤) «تجميع آيات الموضوع».

٥) «موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم».

التفسير المختصر:

١) «تفسير الجلالين»، لتفسير اللفظ.

٢) «تفسير السعدي»، لبيان المعاني والدلالات.

مراجع أحاديث الموضوع

١) «رياض الصالحين».

٢) «السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير».

٣) «صحيح الترغيب والترهيب».

شروح الأحاديث

١) «جامع العلوم والحكم».

٢) «فيض القدير شرح الجامع الصغير».

٣) «إصلاح المجتمع».

٤) «بهجة قلوب الأبرار».

٥) «شرح رياض الصالحين» للعثيمين.

مراجع آثار السلف في الموضوع:

١) «من أخبار السلف للباكستاني».

٢) «التهذيب الموضوعي لحلية الأولياء».

٣) «التهذيب الموضوعي لتاريخ بغداد».

٤) «تحفة العلماء بترتيب سير أعلام النبلاء».

٥) «حياة السلف بين القول والعمل».

مراجع قصص في الموضوع:

١) «قصص الغيب في صحيح الحديث النبوي».

٢) «قصص واقعية».

٣) «كرامات الأولياء».

٤) «الفرج بعد الشدة».

٥) «المنتقىٰ الصحيح من روائع القصص والطرائف والشعر الفصيح».

مراجع الشعر في الموضوع:

١) «الموسوعة الشعرية».

٢) «رباعيات البيحاني».

٣) «التمثل بالشعر».

تقسيم الموضوع

إن كان موضوع الخطبة في طاعة من الطاعات فيكون التقسيم كالتالي:

١) التعريف، ويقتصر علىٰ أسهل وأشمل تعريف، ويدع التعريف اللغوي، فميدانه التأليف أو التعليم.

٢) الأمر والحث والترغيب، في الآيات، ثم الأحاديث، ثم بكلام السلف، وأهل العلم والأدب.

٣) منافع القيام بهذا الأمر في الدنيا والآخرة في الآيات القرآنية، ثم الأحاديث النبوية.

٤) أضرار وعواقب تضييع هذا الطاعة.

فيرقىٰ الخطيب أعواد المِنبر لِيُفْهِمَهم معنىٰ هذه الطاعة، ثم يبيِّن لهم أن الله أمر بها، ثم يشوقهم لإقامة هذه الطاعة بما وعد الله الطائع من خير الدنيا، ثم من خيرات الآخرة، ثم يختم بالتحذير من التلاعب بهذه الطاعة.

وإن كان موضوع الخطبة في معصية من المعاصي، فيكون التقسيم كتالي:

١) التعريف، ويقتصر علىٰ أسهل وأشمل تعريف، ويدع التعريف اللغوي، فمَيدانه التأليف أو التعليم.

٢) الزجر والنهي والتحذير، في الآيات، ثم الأحاديث، ثم بكلام السلف، وأهل العلم والأدب.

٣) أضرار وعواقب ارتكاب هذا المحظور في الدنيا والآخرة.

٤) أسباب تعين علىٰ تجنبه والبعد منه.

فيرقىٰ الخطيب أعواد المِنبر ليفهمهم معنىٰ هذه المعصية، ثم يبيِّن لهم أن الله نهىٰ عنها، وتوعد مقترفها بعقوبات عاجلة في الدنيا، ثم عقوبات آجلة في الآخرة، ثم يختم ببيان سبل الهدىٰ لمن توكل علىٰ الله واعتصم بالله في ترك تلك المعصية.

وهذا التقسيم علىٰ أكثر موضوعات الخطب، وقد تخرج بعض الموضوعات عن ذلك، وإذا بَرَعَ الخطيب، فسيتفنن ويغاير، ويتذوق الكلام في نفسه، ويخرجه بقالبٍ يجذب القلوب، وينشط الأذهان، فيكون من المصلحين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عناوين خطب منبرية مرتبة مع مراجعها الخاصة()

خطب في التوحيد والإيمان

الأولى: التوحيد أعظم ما يتعلمه العبيد.

أجنحة الخطبة:

- فضل التوحيد ومنزلته في الدنيا والآخرة.
- خطر وعواقب تضييع التوحيد في الدنيا والآخرة.

مراجع الخطبة:

- «فضل لا إله إلا الله»، للشيخ أحمد شفان.
- «بلوغ السعادة من أدلة توحيد العبادة»، للشيخ صلاح البدير.
- «الجامع المفيد ببيان التوحيد»، للشيخ محسن بن عوض القليصي.

الخطبة الثانية: المناهي اللفظية في أبواب الإيمان.

أجنحة الخطبة:

- المناهي اللفظية المتعلقة بالله تعالى.
- المناهي اللفظية المتعلقة بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.
- المناهي اللفظية المتعلقة بالإسلام وشعائره.

مراجع الخطبة:

---

(١) وهذا المراجع فيما أعلم، وما أوتيت من العلم إلا قليلًا.

- «معجم المناهي اللفظية» للعلامة بكر أبو زيد.
- «المستدرك علىٰ المناهي اللفظية» للشيخ سليمان الخراشي.
- «المناهي اللفظية» للعلامة ابن عثيمين.
- «تصحيح الزلات في العقائد والأمثال والكلمات»، للشيخ أحمد بن أحمد شملان.

الخطبة الثالثة: تحقيق العبودية في أسماء وصفات رب البرية.

أجنحة الخطبة:

- الأسماء المتصلة بالعلم والإحاطة؛ لإعمار القلوب بالخوف والخشية، كاسمه ﷻ: (العليم، الخبير، عليم بذات الصدور، علام الغيوب، عالم الغيب والشهادة).
- الأسماء المتصلة بالحفظ والعطاء؛ لإعمار القلوب بالثقة بالله، والتوكل عليه، وحسن الظن بالله، كاسمه تعالىٰ: (الحافظ، الكريم، الرزاق، الوهاب).
- الأسماء الباعثة علىٰ إعمار القلوب بالمحبة والتعظيم، كاسمه ﷻ: (الحليم، الودود، الغفور، الخالق البارئ، القدوس، السلام، العزيز، الجبار، المتكبر).

مراجع الخطبة:

- «تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات» للشيخة فوز بنت عبداللطيف الكردي.

- «آثار أسماء الله الحسنىٰ وصفاته في الكون والإنسان» للشيخ عبد اللطيف محمد العبد.
- «فقه الأسماء الحسنىٰ» للشيخ عبد الرزاق البدر.
- «لأنك الله..» للشيخ علي بن جابر الفيفي.
- «دراسة تربوية للآثار الإيمانية والسلوكية لأسماء الله الحسنىٰ» للشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل.

الخطبة الثالثة: حسن الخاتمة وسوؤها، أسباب وعلامات.

الخطبة الرابعة: الإنباه إلىٰ ما ينتفع الميت بعد الوفاة.

الخطبة الخامسة: القبر أول منازل الآخرة.

أجنحة الخطبة:

- الآيات في إثبات عذاب القبر.
- أسباب عذاب القبر.

الخطبة السادسة: من أحوال العصاة في عرصات القيامة.

أجنحة الخطبة:

- من أحوالهم في حقوق الله.
- من أحوالهم في حقوق عباد الله.

الخطبة السابعة: الشفاعة يوم القيامة، أسبابها وأربابها.

الخطبة الثامنة: حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح.

أجنحة الخطبة:

- وصف مساكن أهل الجنة.
- وصف طعام أهل الجنة.
- وصف شراب أهل الجنة.
- وصف نساء أهل الجنة.
- أسباب دخول الجنة.
- أسباب تمنع دخول الجنة.

الخطبة التاسعة: النار أسباب وأهوال:

أجنحة الخطبة:

- وصف طعام أهل النار.
- وصف شراب أهل النار.
- تمني أهل النار الموت.
- تمني أهل النار تخفيف العذاب.
- أسباب دخول النار.
- موانع دخول النار.

مراجع الخطب في القبر وما بعده:

- «حسن الخاتمة وسوؤها»، للشيخ عبد الله بن لمح الخولاني اليماني.
- «الأعمال بالخواتيم»، للشيخ سعد بن سعيد الحجري.
- «الخاتمة.. حسنها وسوؤها»، للشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع.

- «اللحظات الحاسمة.. قصص في حسن الخاتمة وسوئها» للشيخ محمد بن عبد العزيز المسند.
- «لحظات قبل الموت»، للشيخ محمد خير رمضان يوسف.
- «احذر سوء الخاتمة»، للشيخ أزهري أحمد محمود.
- «صحيح الأثر فيما يتبع الميت من الخير والشر»، للشيخ أحمد بن أحمد بن صالح شملان اليماني.
- «الأقوال المنتقاة فيما ينفع الميت والدين بعد الوفاة»، للشيخ محمد بن حسين.
- «القبر عذابه ونعيمه»، للشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي اليماني.
- «الحياة الآخرة ما بين البعث إلىٰ دخول الجنة والنار»، للشيخ غالب بن علي عواجي رحمه الله.
- «سكب العبرات للموت والقبر والسكرات» سيد بن حسين العفاني.
- «الندامة الكبرىٰ في حال العصاة وحسرتهم من ساعة الموت إلىٰ حين الاستقرار في النار»، للشيخ محمد بن أحمد الرملي.
- «أحاديث حياة البرزخ في الكتب التسعة.. جمعًا ودراسة»، للشيخ محمد بن حيدر بن مهدي.
- «الخصال الموجبة لدخول الجنة»، للشيخ الهادي بن حسن وهبي.

- «أحوال الآخرة من نصوص الكتاب والسنة»، للشيخ سيد محمد سادتي الشنقيطي.
-

خطب في حقوق القرآن على المسلم

الخطبة الأولىٰ: حق سماع القرآن.

الثانية: حق تلاوة القرآن.

الثالثة: حق تدبر القرآن.

الرابعة: حق العمل بالقرآن.

الخامسة: حق التحاكم إلىٰ القرآن.

السادسة: حق التداوي بالقرآن.

أجنحة الخطب الست:

- الأمر والحث علىٰ سماع القرآن، وتلاوته، وتدبره، والعمل به، والتحاكم إليه، والتداوي به.
- منافع وبركات عاجلة وآجلة للحقوق الستة.
- التحذير والزجر من هجر حقوقه الستة.
- عواقب هجر حقوقه الستة.

مراجع الخطب:

- «عظمة القرآن الكريم» للشيخ محمد الدوسري.
- «هجر القرآن العظيم أنواعه وأحكامه» للشيخ محمد الدوسري.

- «خواص القرآن الكريم» للشيخ تركي بن سعد الهويمل.
- «القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم»، للشيخ محمد هشام طاهري[1].

خطب متعلقة برسول الله ﷺ

من حقوق رسولنا ﷺ علينا:

الخطبة الأولى: حق الإيمان به وتصديقه ﷺ.

الثانية: حق محبته وتعظيمه ﷺ.

الثالثة: حق طاعته واتباعه ﷺ.

الرابعة: حق الانتصار له والدفاع عنه ﷺ.

الخامسة: حق الصلاة والسلام عليه ﷺ.

مراجع الخطب الخمس:

- «حقوق النبي ﷺ على أمته» للشيخ محمد بن خليفة التميمي.
- «حقوق المصطفى ﷺ والذب عنها في ضوء مؤلفات ابن تيمية» للشيخة أسماء بنت محمد بركات.
- «محبة النبي ﷺ بين الاتباع والابتداع» للشيخ عبد الرؤف عثمان.

---

(١) **تنبيه:** إن كان مسجدك راتبًا فالأولى أن تكون ست خطب كما رتبتها لك، وإن كنت عابرًا أو زائرًا فاجعلها ثلاث خطب والخطبتين الأوليين خطبًا رمضانيةً.

- «الانتصار للنبي المختار ﷺ» للشيخ سليمان العربي.
- «صفات النبي ﷺ في القرآن» للشيخة إيمان العمودي.
- «المنتقىٰ من جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام علىٰ محمد خير الأنام ﷺ»، للشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد.
- «ثمرات السيرة النبوية، محبته، خصائصه، حقوقه ﷺ»، للشيخ صالح بن طه عبد الواحد.
- «اللآلي المنبرية من جواهر السيرة النبوية»، للشيخ توفيق الشريفي.

الخطبة السادسة: صبر رسول الله ﷺ وحلمه وعفوه.

أجنحة الخطبة:

- صبر رسول الله ﷺ علىٰ الكفار.
- صبر رسول الله ﷺ علىٰ اليهود.
- صبر رسول الله ﷺ علىٰ المنافقين.
- صبر رسول الله ﷺ علىٰ الأعراب الجفاة.
- صبر رسول الله ﷺ علىٰ قلة الدنيا.

مراجع الخطبة:

- «رحمة للعالمين» للشيخ سعيد بن وهف القحطاني.
- «الأسوة النبوية في مصابات النبي ﷺ الجسمية»، للشيخة عالية بالطو.
- «الرجل النبيل ﷺ»، للشيخ علي بن جابر الفيفي.

- «النبي محمد رسول الله الله ﷺ رحمة للأنام وشفيع دار السلام»، للشيخ نعمان الوتر.

الخطبة السابعة: أحزان رسول الله ﷺ على فراق أهله وأحبته.

مراجع الخطبة:

- «صحيح السيرة النبوية» للشيخ إبراهيم العلي.
- «شرح الأرجوزة المئية في ذكر حال أشرف البرية ﷺ»، لراقمه.

فيأخذ من الأول خبر حزنه ﷺ على فراق أهله وأحبته، ومن الثاني تواريخ وفاتهم بدءًا بوالده الذي توفي وهو حمل في بطن أمه ﷺ، وانتهاءً بمارية سريته ﷺ، التي توفيت قبل وفاته ﷺ بنحو شهرين.

الخطبة الثامنة: وفاة رسول ﷺ عرض وعبر.

مراجع الخطبة:

- «مرض النبي ﷺ ووفاته وأثر ذلك على الأمة» للشيخ خالد أبي صالح.
- «وفاة النبي ﷺ» للإمام النسائي.
- «وفاة النبي ﷺ وأثر ذلك على الأمة» للشيخ عبدالله الإرياني.

خطب متعلقة بالصلاة.

الخطبة الأولى: فضل الصلاة وبركاتها العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة.

الثانية: خطر تضييع الصلاة وعواقبه في الدنيا والآخرة.

الثالثة: الوضوء فضله، وصفته، ونواقضه.

الرابعة: الغسل فضله، وصفته، ونواقضه.

الخامسة: أركان إقامة الصلاة.

أجنحة هذه الخطبة:

- ركن إقامتها زمانًا.
- ركن إقامتها مكانًا.
- ركن إقامتها هيئة وصفة.

الخطبة السادسة: الصلاة مهام وأحكام.

أجنحة الخطبة:

- شروط الصلاة.
- أركان الصلاة.
- واجبات الصلاة.
- مبطلات الصلاة.

الخطبة السابعة: تنبيه الغافل عن أداء النوافل.

أجنحة الخطبة:

- حث رسول الله ﷺ علىٰ النوافل بقوله.
- حث رسول الله ﷺ علىٰ النوافل بفعله .
- حث وترغيب السلف علىٰ النوافل.
- تحذير السلف من التهاون بالنوافل.

مراجع خطب الصلاة:

- «صحيح المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» للشيخ زكريا الباكستاني.
- «السراج المنير في ترتيب أحاديث الجامع الصغير». تقدم في المراجع العامة.
- «صلاة المؤمن» للشيخ سعيد بن وهف القحطاني.
- «موسوعة الصلاة الصحيحة»، للشيخ فوزي بن محمد آل عودة.
- «أهمية صلاة الجماعة في ضوء النصوص وسير الصالحين»، للشيخ فضل إلهي.
- «تعظيم الصلاة»، للشيخ عبد الرزاق العباد.
- «تنبيه الغافل عن أداء النوافل» مقال مطبوع ضمن «مجموع مقالات في الدعوة والأدب»، لراقمه.

خطب متعلقة بالأعراس:

الخطبة الأولى: الزواج الرشيد في الإسلام.

مراجع الخطبة:

- «القاموس فيما يحتاج إليه العروس» للشيخ صالح الغزالي.
- «رسائل في الزواج والحياة الزوجية» للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد.

الخطبة الثانية: منكرات الأعراس[١].

مراجع الخطبة:

- «منكرات الأفراح» للشيخ. غانم بن غالب بن غانم.
- «منكرات الأفراح» للشيخ عبدالله بن سفر العبدلي الغامدي.

الخطبة الثالثة: حقوق الزوجين في الإسلام.

مراجع الخطبة:

- «إتحاف الخلان بحقوق الزوجين في الإسلام» للشيخ فيحان المطيري.
- «آداب الحياة الزوجية في ضوء القرآن والسنة» للشيخ خالد العك.
- «دفء المشاعر في الحياة الزوجية» للشيخ فيصل الحاشدي.

خطب في حقوق العباد

الخطبة الأولىٰ: قضاء الدين ببر الوالدين.

مراجع الخطبة:

---

(١) **تنبيه:** إن كان العرس في بادية، فلا أنصح بالخطبة في منكرات الأعراس، لما في ذلك من التشهير بأهل العرس، وإيجاد فجوة بينهم و بين الداعية، وغير ذلك من المفاسد، فلتؤخر إلىٰ وقت آخر، وإن كان العرس في مدينة، فلا حرج من الخطبة في منكرات الأعراس؛ لكثرة الأعراس في المدينة، وكثرة مساجد الجمعة، والله أعلم.

- «بر الوالدين - مفهوم، وفضائل، وآداب، وأحكام في ضوء الكتاب والسنة»، للشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني.
- «بر الوالدين» للشيخ عبد الرؤف الحناوي.
- «ففيهما فجاهد» للشيخ عبدالملك القاسم.
- «حقوق الأب في الإسلام»، للشيخ حميش بن عبدالخالق.

الخطبة الثانية: حقوق أصحاب رسول الله ﷺ.

مراجع الخطبة:

- «الصحيح المسند من فضائل الصحابة رضي الله عنهم»، للشيخ مصطفىٰ العدوي.
- «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم»، للشيخ ناصر بن علي الشيخ.

الخطبة الثالثة: حقوق الأرحام.

مراجع الخطبة:

- «صلة الأرحام - مفهوم، وفضائل، وآداب، وأحكام في ضوء الكتاب والسنة»، للشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني.
- «الترغيب في صلة الأرحام»، للشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطّريفي

الخطبة الرابعة: حقوق الجيران.

مرجع الخطبة:

- «الإحسان إلىٰ الجار»، للشيخ أزهري أحمد محمود.

- «تذكير الأبرار بحقوق الجار»، للشيخ عبد الله بن جار الله آل جار الله.
- «التقصير في حقوق الجار»، للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد
- «حق الجار»، للشيخة عبير بنت محمد الشويحي.

الخطبة الخامسة: رعاية الأيتام في شريعة الإسلام.

مراجع الخطبة:

- «اليتيم ومعاملته في القرآن الكريم»، للشيخة شرعاء بنت سعيد القحطاني.
- «كتاب اليتيم» للشيخ بدران العيَّاري.
- «فضل رعاية اليتيم» للشيخ عبد الله بن ناصر السدحان.

خطب متعلقة بشهر رمضان المعظم.

الخطبة الأولىٰ: الحياة فرص.

أجنحة الخطبة:

- الحث علىٰ حفظ الوقت.
- الحث علىٰ استغلال مواسم الطاعات.

مرجع الخطبة:

- «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف»، للحافظ ابن رجب.
- «الحياة فرص»، للشيخ محمد باموسىٰ.

- «اغتنام مواسم الخير في ضوء الكتاب والسنة»، للشيخ عمر بن مصلح الحسيني.

الخطبة الثانية: سماع القرآن الكريم وتلاوته.

أجنحة الخطبة:

- الحث والترغيب في سماع القرآن وتلاوته.
- منافع وبركات سماع القرآن وتلاوته.
- التحذير من هجر سماع القرآن وتلاوته.
- عواقب هجر سماع القرآن، وعواقب هجر تلاوته

الخطبة الثالثة: التوبة إلىٰ الله ورد المظالم.

مراجع الخطبة:

- «التوبة وظيفة العمر» للشيخ إبراهيم الحمد.
- «أداء المظالم والحقوق بين يدي الله المعبود، وطرق التحلل منها قبل اليوم الموعود» للشيخ علي بن أحمد الرازحي.
- «حادي الروح إلىٰ أحكام التوبة النصوح»، للشيخ سليم الهلالي.

خطب متعلقة بالعيد

الخطبة الأولىٰ: سنفرح رغم الجراح.

أجنحة الخطبة:

- حسن الظن بالله والثقة به وانتظار الفرج.
- المستقبل لهذا الدين ولحملته الصادقين.

مراجع الخطبة:

- «المعالم لاستخلاف المسلمين في العالم»، للشيخ نشأت زيدان.
- «الطريق إلىٰ النهضة الإسلامية»، للشيخ حسن بن فلاح القحطاني.
- «المستقبل للإسلام» للشيخ سليم الهلالي.

الخطبة الثانية: الأخوة الدينية.

أجنحة الخطبة:

- الحث والترغيب علىٰ التآخي.
- مفسدات الأخوة.

مرجع الخطبة:

- «نعمة الأخوة» للشيخ فيصل الحاشدي.
- «مفسدات الأخوة» للشيخ هاشم بن عبدالقادر آل عقدة.
- «النصيحة والبيان وبعض ما يفسد الود بين الإخوان»، للشيخ فيصل بن يحيىٰ الغولي.

الخطبة الثالثة: التراحم وصنائع المعروف.

أجنحة الخطبة:

- فضائل التراحم وبركاته العاجلة والآجلة.
- أمثلة مباركة لصنائع أهل المعروف والتراحم.

مراجع الخطبة:

- «الله يعاملك كما تعامل عباده» لشيخنا محمد بن عبدالله الإمام.

- «الرحمة من الكتاب والسنة وحياة سلف الأمة»، للشيخ هاني سعد غنيم.
- «إتحاف الفضلاء بعظمة الرحمة وفضائل الرحماء»، للشيخ أحمد بن حسن الريمي.

خطب متفرقة

الأولى: أسباب الرزق.

أجنحة الخطبة:

- أسباب الرزق فيما بين العبد وبين ربه سبحانه.
- أسباب الرزق فيما بين العبد وبين الناس.
- أسباب الرزق فيما بين العبد وبين نفسه.

مرجع الخطبة:

- «كسب الحلال عمل الأبطال»، لشيخنا محمد بن عبد الله الإمام.
- «تسلية الفقراء» للشيخ عبدالوهاب أبو خلبة.
- «اتقاء الحرام والشبهات في طلب الرزق»، للشيخ أحمد بن أحمد الطويل.

الخطبة الثانية: منكرات الأسواق.

مراجع الخطبة:

- الأحاديث الواردة في البيوع المنهي عنها»، للشيخ سليمان بن صالح الثنيان.

- «أحاديث البيوع المنهي عنها»، للشيخ خالد بن عبد العزيز الباتلي.
- «موسوعة الإجماع في المعاملات المالية»، للشيخ علي بن عبد العزيز الخضير.

الارتجال أم القراءة؟

اختُلف في أيِّ الطريقين يسلكها الخطيب، أيسلك الارتجال، أم يسلك طريق القراءة من مكتوب، والمتأمل يدرك أن طريقة الإلقاء من ورقة مكتوبة أوفر علىٰ الإتقان والتحرير، وأن طريقة الارتجال هي الأبلغ في الوقع؟

وتوسط بينهما بعضهم فاستحسن للخطيب أن يجمع بين الطريقتين الكتابة والارتجال؛ فيضع الورقة في مكان لا يراها غيره فيلاحظها من طَرْف خفي؛ ليتذكر الشارد، ويسلم من التشتت، وهكذا يُخيَّل للناس أنه يرتجل وليس الأمر كذلك!

وهناك تفصيل آخر، حاصله ثلاث مراحل:

الأولىٰ: أن يبدأ المتصدر للخطابة بطريقة القراءة، بعد إنعام الفكر في الموضوع، حتىٰ يتشبع به فهمًا، فيجمع بين الضبط والسلامة من الغلط؛ فإن الارتجال مَظِنَّة الإخلال.

الثانية: الاكتفاء برؤوس أقلام موضوع الخطبة؛ ليتدرج في التخلي عن المرحلة الأولىٰ والترقي إلىٰ المرحلة:

الثالثة: وهي التخلي عن القراءة والتحلي بالارتجال؛ ليلحق بفحول الرجال.

قال العلامة ابن مفلح: «قال أبو المعالي وابن عقيل: ولمن لا يُحْسِنُ الخطبة قراءتُها من صحيفة، كالقراءة في الصلاة من المصحف لمن لا يُحسن القراءة من الحفظ»[(١)].

فـ«الأَولىٰ في خطبة الجمعة أن تكون مرتجلة بعد إعداد عناصرها في النفس، وأهمُّ عناصرها: الافتتاح بعد الحمد والتسليم، واستحضار النصوص من الكتاب والسنة، وأقوال أهل العلم.. والتفكير لا سيما قُبيل الخطبة، **وقراءة الخطبة في ورقة مرجوحٌ لأمور:**

الأول: أن قراءتها مخالفٌ لهدي السلف الصالح، وإلقاؤها غير مقروءة موافق لفعل النبي الأمي ﷺ، وموافقته –ولو كان أميًّا– أفضل من مخالفته.

الثاني: أن الخطيب حين يكون منشغلًا بأوراقه يكون بمعزل عن المصلين، والواقع شاهدٌ علىٰ ذلك، فإن منهم من ينام أثناء قراءة الخطيب؛ لأنه يعلم أن خطبة الخطيب دُبِّرتْ بليل، وأنه قد نسخها في الغالب من كتاب، فيحصل لديهم شعورٌ بانفكاك الدهشة بين مشاعر الخطيب، وما ترمي إليه الخطبة.

الثالث: أنه لا يرقب انفعالهم ولا تلحظ عينه تصرفاتهم المخالفة، وقد يحدث مُنْكر أمامه ولا ينبه عليه؛ لأن العادة التي سار عليها لا تصرفه إلىٰ ذلك.. وقد رأىٰ عمر بن الخطاب عثمانَ بن عفان ﷺ دخل المسجد متأخرًا، وعمر يخطب فتكلم

---

(١) «الفروع» (٢/ ١١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في ذلك، وخاطب كل منهما الآخر، وقبل ذلك فعل النبي ﷺ في خطابه وهو علىٰ مِنبره غير مرَّة.

الرابع: انفعال المرتجل أقوىٰ وأكبر تأثيرًا وعاطفته تنطلق بلا تقييد.

الخامس: أن المرتجل يفتح له في ذلك المقام المبارك فوائد ولطائف، وترد عليه خواطر نافعة.

السادس: أن الناس يثقون بالمرتجل ما لا يثقون بغيره، ويأملون منه ما لا يؤملون من غيره» (١).

وقال الشيخ علي محفوظ: «وبعض الخطباء لسوء حفظه يقرأ الخطبة في الورق، وبذلك يضيع أثر الخطبة في نفوس السامعين»(٢).

وفي ربيع الآخر سنة أربع وخمسين ومئةٍ وألفٍ (١١٥٤) سها البدر الأمير محمد بن إسماعيل ﷺ عن استصحاب ورقة الخطبة ليوم الجمعة، فأخرج قرطاسًا لا كتابة فيه، وارتجل خطبة بليغة!!»(٣).

فانظر محمدة الارتجال، أنْ وُصِفَتِ الخطبة بالبلاغة والبلاغ، وهل علىٰ الخطيب إلا البلاغ؟!

---

(١) «خاطرات» للشيخ عبد العزيز الحربي (ص / ١١٤-١١٥).

(٢) «الإبداع في مضار الابتداع» (١٧٧).

(٣) «نشر العَرف في نبلاء اليمن بعد الألف» للعلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة الصنعاني (٣/ ١٤٥٠).

نواقض هذه الحلية

من أرحب نظره، وأجال فكره فيما تقدم وفي غيره؛ ظهر له أن نواقض هذه الحلية كثيرة، وهي طبقات، ومنها:

١) التقدم للخَطابة قبل التأهل.

٢) التطلع لثناء الناس ومدحهم.

٣) الضجر المخالف للصبر.

٤) الشدة المخالفة للين، والعجلة المخالفة للحكمة.

٥) خطاب الترفع –لا سيَّما من المبتدئ– كالذي يقول: اتقوا الله، اجتنبوا، ترفعوا، احذروا، والتسوية أقرب وأرفق فيقول: فليتق الله، فلنجتنب، فليترفع أهل الإسلام، فليحذر أهل الإيمان.

٦) خطاب الهجوم؛ كالذي يقول: أولئك السَّفِلَة، أولئك العصاة، أولئك الفجرة، أولئك الهلكة، لا بارك الله فيهم!

٧) تسمية المخالف، سواءٌ أكان شخصًا، أو جهةً، أو بلدًا، وخير الهدي: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ».

٨) العجلة في قبول الأخبار ونشرها، قبل التبين.

٩) الغلو في وصف أساليب الشَّر وطرق الفواحش، كوصف أساليب السراق، وأساليب العشاق، ونحو ذلك من وسائل أهل الشر في تحقيق شرورهم، فربما كان بسط الحديث مما يُعلم الجاهل، ويوقظ الغافل، وحسب الموفق الاقتصار على الإشارات والمآلات.

١٠) التأثر بالأحداث المحزنة، مما يحيد به عن الإنصاف والحكمة.

١١) الخَطابة وهو غضبان؛ فالمقام مقام تغيير المنكر بالتي هي أحسن، وليس مقام شفاء الغليل من حرارة المنكر!

١٢) الاعتماد علىٰ الخطب المفرغة، فيتقمص الخطيب قميص غيره؛ فيكون صدًىٰ تابعًا، لا صوتًا متفردًا.

١٣) الاعتماد علىٰ الأحاديث والأخبار الباطلة، والقصص الساقطة.

١٤) الإغراب في الاحتجاج، فالمقام مقام وعظ وليس مقام استنباط.

١٥) الجهل بأداب الخطبة والخطيب، فيسقط في أول نازلة فقهية تنزل به، لا يدري حيص بيص.

١٦) البخل بالصلاة علىٰ رسول الله ﷺ، أو الاكتفاء، بقوله: مرفوعًا، أو العجلة في نطقها، فيخرجها هكذا صعْ سلَّمْ.

١٧) تقنيط الناس، وتيئيسهم.

١٨) الخَطابة بالدارج العليل، أو الأعجمي الدخيل.

١٩) سرد الكلام هذًّا بغير تمهل وترسل.

٢٠) رفع الصوت صاخبًا، أو خفضه خافتًا.

٢١) ترك الإشارة، أو الإفراط فيها.

٢٢) العبث ببعض الجوارح أثناء الخطبة، كحك الرأس، وتنظيف الأنف، وفتل الشَعْر وفرقعة الأصابع

٢٣) رثاثة الهيئة.

٢٤) التشتت في طرح موضوع الخطبة.

٢٥) تكرار الخطبة، والتنقل بخطبة أو خطبتين، وقد تكون منقولة!

٢٦) تطويل الخطبة، ففيه مع مخالفة السنة المشقة علىٰ الأمة.

٢٧) الارتجال مع الإخلال، أو القراءة مع الانكباب.

٢٨) تدنيس الحلة بأرجاس السياسة العمياء، أو التحزب الأصم، فيدور في فلكهما، ويَلْوي أعناق الحجج الشرعية لتسويغ انحرافهما.

٢٩) مِلء النقص بكثرة الدعاء في أثناء الخطبة، أو في آخرها، فالمنابر للوعظ، والسجود للدعاء.

٣٠) الاقتصار علىٰ ذكر الأسماء القديمة؛ كالرطل، والفرسخ، والميل، والصاع، والمُدّ، ويهمل الأسماء الجديدة المعروفة في هذا العصر.

مؤلفات في الخطيب والخَطابة

المؤلفات في الخطيب والخَطابة كثيرة، ودونك بعض ما وقفت عليه:

١) «أدب الخطيب». ابن العطار الدمشقي.

٢) «أصول الخطابة والإنشاء». لابن عاشور.

٣) «أيها الخطيب». عبد الرحمن الصاعدي.

٤) «الدراسة النظرية للخطابة». عبد الرب بن نواب الدين.

٥) «الشامل في فقه الخطبة والخطيب». سعود الشريم.

٦) «الجامع الفريد في الخَطابة والخطيب». مصطفىٰ أمين.

٧) «خصائص الخطبة والخطيب». نذير محمد مكتبي.

٨) «الخَطابة بين النظرية والتطبيق». محمود عمارة.

٩) «تحفة الخطيب»، فيصل الحاشدي.

١٠) «طرق الخَطابة والإلقاء». راكان بن عبد الكريم حبيب.

١١) «أصول الخَطابة والإنشاء». عطية بن محمد سالم.

١٢) «الخَطابة وإعداد الخطيب». توفيق الواعي.

١٣) «خطبة الجمعة دراسة دعوية». سليمان بن عبد الله الحسن.

١٤) «منهج في إعداد خطبة الجمعة». صالح بن عبد الله بن حميد.

١٥) «الأنباء بأخطاء الخطباء». سعود العنزي.

١٦) «هداية المرشدين إلىٰ طرق الوعظ والخَطابة». علي بن محفوظ.

١٧) «الإلقاء الخطابي في الدعوة إلىٰ الله». خالد بن عبد الرحمن القرشي.

١٨) «خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية». عبد العزيز بن محمد الحجيلان.

١٩) «أدب الموعظة». محمد الحمد.

٢٠) «تحذير الخطباء من أخطاء شائعة في فن الخَطابة والإلقاء»، عمار ابن عبد الله الضبيبي.

٢١) «أسس الخَطابة والدعوة إلىٰ الله». عبد الرحمن السقاف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

هذا ما فتح الله به وهو خير الفاتحين من صياغة حلية للخطيب؛ ليرقىٰ بها المنابر بهيّ المنظر، جميل الطَّلْعة، يضع الدواء علىٰ الداء، والبلسم علىٰ الجراح، يرجو بذلك رضا الله تعالىٰ، وصلاح العباد، فعسىٰ أن يكون داعية هدىٰ ومنقذًا من الغي والردىٰ، فيُكتب في ديوان المصلحين، ثم يحشره الله في زمرة المبَشِّرين والمنذِرين، من السابقين والغابرين.

سدد الله الخطىٰ، ومنح الجميع البر والتقوىٰ، وحُسن العاقبة في الآخرة والأولىٰ

وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

كَتَبَهُ:

أبو الخَطَّابِ أَحْمَدُ بنُ غَانِـمِ بنِ حَسنٍ الأَسَدِيُّ

نهار الأحد لعشرين مضت من شهر المحرم الحرام

لعام أربعين وأربعمئة وألف من هجرة رسولنا الكريم ﷺ

(١٤٤٠/١/٢٠)

فهارس المحتويات

تقريظ فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله الإمام..... ٥
خطبة المؤلف..... ٦
فضل خطبة الجمعة..... ٩
أصول الخَطابة..... ١٢
الأصل الأول: العلم..... ١٢
الأصل الثاني: الإخلاص ١٥
الأصل الثالث: الصبر..... ٢٠
الأصل الرابع: الحكمة ٢٥
الأصل الخامس: اللين والرفق..... ٣١
لسان الخطيب..... ٣٦
صوت الخطيب ٤٤
إشارة الخطيب ٤٨
شجاعة الخطيب..... ٥٢
لباس الخطيب وهيئته..... ٥٧
اختيار وإعداد موضوع خطبة الجمعة..... ٦٢
الاعتناء بإعداد موضوع الخطبة:..... ٦٣
مراحل جمع الخطبة:..... ٦٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحدة الموضوع وتجنب التشتت:..... ٧١
مراجع مقترحة لإعداد الخطبة:..... ٧٣
مراجع آيات الموضوع:..... ٧٣
التفسير المختصر:..... ٧٣
مراجع أحاديث الموضوع..... ٧٣
شروح الأحاديث..... ٧٣
مراجع آثار السلف في الموضوع:..... ٧٤
مراجع قصص في الموضوع:..... ٧٤
مراجع الشعر في الموضوع:..... ٧٤
تقسيم الموضوع..... ٧٤
عناوين خطب منبرية مرتبة مع مراجعها الخاصة°..... ٧٧
خطب في التوحيد والإيمان..... ٧٧
خطب في حقوق القرآن على المسلم..... ٨٢
خطب متعلقة برسول الله ﷺ..... ٨٣
خطب متعلقة بالصلاة..... ٨٥
خطب متعلقة بالأعراس:..... ٨٧
خطب في حقوق العباد..... ٨٨
خطب متعلقة بشهر رمضان المعظم..... ٩٠
خطب متعلقة بالعيد..... ٩١

خطب متفرقة.....٩٣
الارتجال أم القراءة؟.....٩٥
نواقض هذه الحلية.....٩٨
مؤلفات في الخطيب والخَطابة.....١٠١
الخاتمة.....١٠٣
فهارس المحتويات.....١٠٤

هذا الكتاب منشور في